قراءة في كتاب «الثقافات وحقوق الإنسان» لمؤلّفه الأب سليم عبو*

منير صادر**

لا شكّ في أنّ قضيّة الثقافة بصفة كونها مقولة فكريّة، لا تزال تشغل الكثير من المفكّرين والمبتمّين بقضايا الإنسان الأساسيّة، وخصوصًا اليوم، مع صعود الإيديولوجيّات القوميّة وأشكال التطرّف الدينيّ. فبعضهم يقول إنّ الانقسامات الكبيرة في زمننا الحاضر لم تعد اقتصاديّة أو سياسيّة، بل هي ثقافيّة، والهويّة الثقافيّة الأحاديّة المؤسّسة على التراث الحضاريّ واللغة والدين هي المرجع، وهي التي تحدّد الصديق من العدوّ.

والسؤال الذي يُطرح اليوم هو التالي: مَن أنت؟ أو بالأحرى: مَن أنت بالنسبة إلى الآخرين؟

إنّ هذه النظرة إلى الثقافة هي مشروع يشوّهها، ودعوة إلى انغلاقيّة على الذات، واستبعاد الغيريّة التي هي مصدر ثقة، وتحويل الآخر إلى مجرّد جدار، بدل أن يكون مصدر ثراء متبادل على جميع المستويات. ومثال على ذلك ما أدّت إليه النظرة النوفيّة المتعالية الأحاديّة التي اتّسمت بها الثقافة الألمانيّة الجرمانيّة: لقد كانت إغراقًا في العصبيّة ونزولًا إلى الدرك الأسفل وانغلاقًا للغرائز. في المقابل هناك في تاريخ البشريّة الثقافيّ، مراجع، تبرهن على أنّ الثقافة ليست دعوة إلى الأحاديّة واختزال الآخر، بقدر ما هي شهادة على أنّ الواقع البشريّ هو واحد ومتعدّد في آنٍ معًا، وأنّ الدعوة إلى التكتّلات المنغلقة هي الدعوة إلى التحجّر. إنّ القيَم المشتركة بين البشر، التي تكوّن التراث الحضاريّ الروحيّ، هي وحدها الطريق إلى الحوار والتفاعل والتآخي ضمن ممارسة العقل والحرّيّة المسؤولة ممارسة صحيحة. وهذا ما عبّر عنه الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان الصادر عن منظّمة الأمم المتّحدة في العام ١٩٤٨.

(*) سليم عبو: الثقافات وحقوق الإنسان، نقله عن الفرنسيّة الأب سليم دكّاش اليسوعيّ، بيروت، ١٩٩٨.

(**) مجاز في الفلسفة. كاتب.

ضمن هذه الإشكاليّة التاريخيّة، يدرج كتاب الثقافات وحقوق الإنسان للأب ميشيل عبو

بالرغم من صعوبة اللحاق بفكر الأب عبو في شموليّته وتعرّجاته التاريخيّة، سنحاول أن نلقي الضوء على بعض المحفّزات الأساسيّة في الكتاب.

من ناحية أولى يتمّ التركيز على فكر القرن الثامن عشر الفرنسي الذي يؤكّد حقّ الشعوب والأفراد بالاختلاف. ومن ثمّ ضرورة الاعتراف بالهويّة الخاصّة بكلّ الشعوب، والحقّ في العودة إلى الجذور. فمحافظة هذه الأمم على هويّتها الخاصّة، ربّما أوصلتها إلى الانغلاق على الذات ورفض الآخر. ويُضرب مثلاً على ذلك عودة الطوائف في لبنان، مع الحرب، إلى التقتيش عن إثنيّتها، بدل العودة إلى مفهوم «الوطن الضائع». أمّا عدم الاعتراف والقبول بخصوصيّة الجماعات والأفراد، فيولّد يقظة الإثنيّات المكبوتة، كما حدث مع اليهود والأرمن. من هنا أنّ وثيقة الثقافة اليوم هي الحماية من عداوة الطبيعة وعواصف التاريخ. فالحضارة كما يقول ليفي ستروس تكمن في تعايش ثقافات تختلف بشدّة. ينطلق الأب عبو من هذا الدور المفترض للثقافات اليوم، ليقوم بنظرة نقديّة واتّهاميّة لوضع الهنود في أميركا، ووضع العمالة الأجنبيّة في البلاد الصناعيّة. ويرفض هنا مقولة إنّ الحقّ في الاختلاف يعني الحقّ في العنف والتهجير. ويشدّد على دور فلسفة «النسبويّة» في مساعدة الآخر اقتصاديًّا مع السماح له بالاحتفاظ بما يميّزه حضاريًّا وثقافيًّا. وهذا ما يجب أن يقوم عليه دور العالم الصناعيّ في مساعدة دول العالم الثالث.

من ناحية أخرى يعرض الأب عبو الطروحات القوميّة في أوروبّا من زاويّة رفْضِها فكرةَ الإنسان في المطلق، تلك التي نادى بها عصر الأنوار. فجوهر الإنسان في نظر الفكر القوميّ هذا يرتكز على «روح أمّته». فلقد شهد القرن التاسع عشر في أوروبّا صعود القوميّات وبالتالي إعلان شأن الخصوصيّات الوطنيّة على حساب الانتماء إلى الإنسانيّة الواحدة. فبرز الصراع بين النزعة الوطنيّة والنزعة الإنسانيّة في فكر روسّو. وقال مونتسكيو بفكر قوميّ يغذّيه إطار جغرافيّ ما. وبالمقابل كان القول بالشموليّة العقلانيّة لإزالة الفوارق، وذلك مع بيكون سيمون وأوغست كونت وغيرهما. وركّز ماركوز على البُعد اللّذّوي للإنسان. فمصالحة الإنسانيّة مع ذاتها تكون عبر شموليّة اللذّة.

ثمّ ينتقل الأب عبو إلى عرض فلسفات التاريخ الأربع: ثلاثة أصناف متعلّقة بالمثالثة الألمانيّة يكون بموجبها العقل موازيًا في امتداده لكلّيّة الواقع. وكما

يقول هيغل: «الواقع هو عقلانيّ والعقلانيّ هو واقع». أمّا فلسفة التاريخ الرابعة فتنتقد انتقادًا جذريًا الفلسفات السابقة، بحيث إنّها تخلط في ما بينها عبر الرفض عينه. ففي نظر صاحبَي هذه الفلسفة، هايدغر وأندت، الحدث التاريخيّ هو «سرّ وأعجوبة الوجود»، التاريخ هو من باب اللامتوقّع واللامتصوّر.

بعد الرحلة الفكريّة الجدليّة هذه في استعراض حقوق الإنسان في أبعادها التاريخيّة المتعدّدة الجوانب، يعرض الأب عبو لحقوق الإنسان من زاوية الماضي والواقع والمرتجى.

يرى عبو أنّ جذور حقوق الإنسان تجد أساسها ومرتكزها في طبيعة الإنسان العقليّة، وهذا ما نادت به فلسفة اليونان والثورة الفرنسيّة. فحقوق الإنسان ترتكز من جهة على الحقّ الطبيعيّ لدى الإنسان، وهو ثابت، وعلى الحقّ الوضعيّ أي القانونيّ، وهو متغيّر. من هنا مفهوم العدالة الاجتماعيّة، والقوانين العادلة، والحقّ في تطوير الأنظمة والقوانين. فحقوق الإنسان في جذورها ثابتة، وفي تطبيقها نسبيّة ومتطوّرة.

ويرى المؤلّف أنّ صعود الفكر القوميّ والتعصّبيّ على مدار التاريخ جعل الحقّ الذاتيّ ينتصر أحيانًا على الحقّ الطبيعيّ. من هنا العنف والإرهاب.

أمّا انتصار الحقّ الطبيعيّ أي الشموليّ على الحقّ الذاتيّ أي النوعيّ، بعد صراع فكريّ وثقافيّ وعسكريّ مرير، فمهّد للوصول إلى إعلان حقوق الإنسان وبالتالي نسبيّة الثقافات.

وفي شأن هذا الانتصار وضرورة المحافظة عليه باستمرار، يستشهد الأب عبو بكلام جميل قاله الأمين السابق للأمم المتّحدة خافيير بيريز دو كويلار: «إنّ الإعلان العالميّ لحقوق سنة ١٩٤٨ أصبح، على وجه التقريب، عينَ الله، العين التي كانت تلاحق قايين في كلّ مكان. فلا يمكن إخفاء أيّ انتهاك لحقّ من تلك الحقوق عن المجتمع الدوليّ».

ويرى الأب عبو أنّ دور الدول الكبرى في تثبيت حقوق الإنسان يكون في:

١. مساعدة الدول النامية اقتصاديًا: فما الفائدة من دعم حقوق الإنسان نظريًا، إذا كنّا نسمح بأن يموت بشرٌ جوعًا.
٢. في قمع القمع. ويأخذ هنا على أميركا دعمها الديكتاتوريّات في أميركا الجنوبيّة. ومساعدة الدول الكبرى على احتلال بلد صغير وسلبه استقلاله وسيادته (واقع الحال في لبنان).

ويقترح المؤلّف لنشر مبادئ حقوق الإنسان بين مختلف الشعوب:

١. التركيز على أهمّيّة التعاون الثقافيّ بين الأمم، لإزالة التناقض بين القِيَم الشموليّة التي تلازم حقوق الإنسان، والقِيَم الخاصّة بالثقافات المتعدّدة.
٢. التركيز على حقوق الإنسان والحقّ في الاختلاف.
٣. الكائن العقلانيّ الحرّ بحسب كانط وهيغل يتحقّق بالفعل، بالممارسة الديمقراطيّة لحياة جماعيّة ونظام يتوافق وخصوصيّته.
٤. حلّ النزاع بين وضعيّة الإنسان ووضعيّة الإنسان المواطن.

لا بدّ من كلمة على ما تميّزت به ترجمة هذا الكتاب. فإنّ نقل الفكر الفلسفيّ المتخصّص من لغة إلى أخرى تعترضه صعوبات جمّة، إن على صعيد إيجاد المصطلحات الفلسفيّة في اللغة المنقول إليها، أو على صعيد خصوصيّة سبك هذه المقولات لغويًّا.

فالأب عبر توجّه بأفكاره هذه إلى نخبة فكريّة مختارة، إذ أودعها دروسًا ألقيت في الكولج دو فرانس في أيّار ١٩٩٠.

من هنا كان على المترجم، الأب سليم دكّاش، أن يتجاوز هذه العقبة الكبيرة، وبخاصّة أنّه أراد من ترجمته هذه إيصال رسالة إلى جمهور قرّاء اللغة العربيّة الواسع. إنّ قراءة الكتاب قراءةً متميّلة وهادئة، تبيّن لنا نجاح الأب دكّاش في نقل فكر فلسفيّ بمقولات ثابتة ومتعرّجة إلى لغة لها عبقريّتها الخاصّة، فزاوج بين أفكار غربيّة المنشأ واللغة العربيّة، ولم يكن ذلك بالأمر العسير عليه، بسبب سعة اطّلاعه على المؤلّفات الفلسفيّة والسوسيولوجيّة بالفرنسيّة من جهة، ورسوخ قدمه في اللغة العربيّة من جهة ثانية، بالإضافة إلى خبرته الطويلة في نقل العديد من الكتب والمقالات من الفرنسيّة إلى العربيّة. كما أنّه تجدر الإشارة إلى الرابطة التي تجمع بين «الأبوَيْن» من حيث انتمائهما إلى مدرسة واحدة هي المدرسة اليسوعيّة، ممّا سهّل التفاهم بين الكاتب والناقل ووفّر أمانة كبيرة في الترجمة.

وفي الختام، ليس أجمل من أن نقول مع غُويتِه: «تتصارع مع ذاتك لتنفتح على الآخر».

Comunità cristiane nell'islam arabo
La sfida del futuro
a cura di Andrea Pacini
Edizioni Fondazione Giovanni Agnelli, Torino, 1996, 410 p.

الجماعات المسيحيّة في العالم الإسلاميّ العربيّ
تحدّي المستقبل
بإشراف أندريا باتشيني

من اهتمامات مؤسّسة جيوفاني أنيلّي الثقافيّة، التابعة لشركة فيات الشهيرة في مدينة تورينو بإيطاليا، دَرْسُ القضايا المشتركة بين بلدان حوض البحر المتوسّط. وقد عُقدت في شهر حزيران من العام ١٩٩٥، ببعثة الدكتور أندريا باتشيني، المسؤول فيها عن البرنامج «الإسلام والحداثة»، مؤتمرًا ضمّ نحو ١٦ باحثًا اختصاصيًّا عالجوا موضوع «الجماعات المسيحيّة في العالم الإسلاميّ العربيّ - تحدّي المستقبل». ونُشرت مداخلات هذا اللقاء، التي تمّت باللغات الإنكليزيّة والإيطاليّة والفرنسيّة، في الطبعة الأولى هذه بعد أن نُقِلَت جميعها إلى الإيطاليّة. وأُلحقت الطبعة هذه بطبعتين أخريَيْن: إحداهما فرنسيّة في عدد خاصّ مثلّث من مجلّة الشرق الأدنى المسيحيّ *Proche-Orient Chrétien*، المجلّد ٤٧، ١٩٩٧، الأجزاء ١-٣؛ والثانية إنكليزيّة، صدرت في لندن العام ١٩٩٨ عن منشورات كلارِنْدُن Clarendon Press بعنوان *Christian Communities in the Arab Middle East. The Challenge of the Future.*

أمّا الموضوعات التي عُولجت فهي الآتية: «المقدّمة»، لأندريا باتشيني (ص ١-٢٨)؛ «المسيحيّون العرب. من المسألة الشرقيّة إلى جيوپوليتيكا الأقلّيّات في الآونة الأخيرة» لجوزف مايلا (ص ٢٩-٥٤)؛ «المسيحيّون العرب في الشرق. نظرة ديموغرافيّة» لفيليب فارغ (ص ٥٥-٧٤)؛ «الجماعات المسيحيّة عناصر فعّالة في المجتمع العربيّ إبّان التاريخ» للأب سمير خليل سمير اليسوعيّ (٧٥-١٠٠)؛ «كنائس الشرق الأوسط. الأصول والهويّة: بين التأصّل في الماضي والانفتاح على الحاضر» للأب جان كُوربُون (١٠١-١٢٠)؛ «قانون الدولة - الأمّة ووضع غير المسلمين في مصر وسورية» لبرنار بُوتيڤو (١٢١-١٣٨)؛ «هجرة العرب المسيحيّين. أبعادها وأسبابها»، لبرنار سايلا (١٣٩-١٦٨)؛ «إنتاج المسيحيّين العرب الثقافيّ اليوم. التعبير عن الهويّة في مجتمع أغلبيّته مسلمة»، للأب كميل حنيمه اليسوعيّ (١٦٩-١٨٦)؛ «ديناميّة الأنماط السياسيّة: السعي إلى تفعيل دور الجماعة»، لِدِينا الخواجه (١٨٧-٢٠٦)؛ «موقع الأقباط ودورهم الحاليّ في الاقتصاد المصريّ. التقاليد والاختصاصات»، لعادل أ. بشاي (٢٠٧-٢١٦)؛ «ديناميّة المسيحيّين اللبنانيّين. بين مِثال العائلات ومثال الحويّك»، لأليزابيت پيكار (٢١٧-٢٤٠)؛ «الجماعات المسيحيّة والأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة في لبنان»، للدكتور بطرس لبكي (٢٤١-٢٨٠)؛ «الديناميّة الجماعيّة والاجتماعيّة السياسيّة لدى المسيحيّين العرب في الأردنّ وإسرائيل والأراضي الفلسطينيّة ذات الحكم الذاتيّ»، لأندريا باتشيني (٢٨١-

٣١٠)؛ «المسيحيّون في سورية»، للدكتور حبيب مرصلي (٣١١-٣٢٠)؛ «المسيحيّون في العراق»، للأب يوسف حبّي (٣٢١-٣٣٢)؛ «مساهمة الجماعات العربيّة المسيحيّة في مستقبل المجتمعات العربيّة بالشرق الأوسط. بعض التطلّعات»، للأب موريس بُورمَنس (٣٣٣-٣٤٥).

يُضاف إلى مجموعة تلك المداخلات القيّمة ٦٢ صفحة من الملاحق المفيدة وُزّعت على الموضوعات التالية: مفتاح الكنائس الشرقيّة؛ تحدّر الكنائس الشرقيّة الكاثوليكيّة من نظيراتها الأرثوذكسيّة في الشرق الأدنى؛ البطريركيّات الشرقيّة القديمة في إطار تعدّد انتماءاتها الحاليّ؛ ولايات الكنائس الشرقيّة الأرثوذكسيّة والملكيّة الأرثوذكسيّة والكاثوليكيّة في الشرق الأوسط؛ تعريف دقيق (مع التحفّظات الضروريّة في شأن الإحصاءات) بكلّ من الكنائس الثلاث عشرة الموجودة في المنطقة (خرائط مفصّلة وتعليقات)؛ معجم في ٢٤ صفحة يشرح عددًا كبيرًا من المفردات والمفاهيم التي قد تلتبس على القرّاء، حتّى المختصّين؛ لائحة بالمراجع البيليوغرافيّة التي وردت في الكتاب (١٦ صفحة)؛ تعريف بالمشاركين (ص ٤٠٧-٤٠٨).

فالواضح من هذا العرض المفصّل أنّ الكتاب أتى بموسوعة وافية شافية للوقوف على الجماعات المسيحيّة في العالم العربيّ والإسلاميّ في الشرق الأدنى قديمًا وحديثًا. إلّا أنّه، سعيًا للتعمّق في الموضوع ولمزيد من الفائدة، سنتوقّف على مداخلتَيْن من مداخلات الكتاب هما: حديث الأب جان كوربون: كنائس الشرق الأوسط. الأصول والهويّة: بين التأصّل في الماضي والانفتاح على الحاضر؛ وحديث الأب موريس بورمنس: مساهمة الجماعات العربيّة المسيحيّة في مستقبل المجتمعات العربيّة بالشرق الأوسط.

يُركّز هذان المقالان على بنى المجتمع في الشرق الأدنى، وهو موضوع يثير على الفور ردود فعل حادّة في لبنان، في ما يختصّ بالعلمنة نسبةً إلى الطائفيّة، وبالمارونيّة السياسيّة نسبةً إلى إسلام نظريّ «لا طائفيّ». غالبًا ما تكون المواقف شعارات عقائديّة، وفي نظر بعضهم، حلّت الشيعيّة السياسيّة محلّ المارونيّة السياسيّة. إنّ العرض التابع يساعد على تفهّم أفضل للبنى الجماعيّة الكنسيّة بما لها من جذور تاريخيّة، وعلى اقتراح رؤية للمستقبل.

نريد أن نقدّم عرضًا لأهمّ ما ورد في هذَين المقالَين، ولكنّنا نلفت النظر، قبل أن نبتدئ، إلى أنّ المسألة قد أثارها البطاركة الكاثوليك في رسالتهم التي صدرت سنة ١٩٩٦، فقد أشاروا إلى الطائفة بصفتها إطارًا تاريخيًّا وسياسيًّا وبشريًّا نعيش فيه الكنيسة. ولها وجه إيجابيّ هو الحفاظ على التقليد الكنسيّ والثقافة البشريّة والإثنيّة. لكن لها أيضًا وجه سلبيّ، أعني الطائفيّة، وهي بكلّ معنى الكلمة، تشويه للحياة الكنسيّة، تدفع كلّ كنيسة إلى المطالبة بخصوصيّتها، لا بالنسبة إلى الإسلام وحسب، بل بالنسبة إلى سائر الكنائس أيضًا. فالجماعات المنطوية على نفسها تصبح طوائف ضيّقة الاهتمامات لا تتوصّل إلى التعبير عن رسالة المسيح. فالعقليّة الطائفيّة تعارض روح الكنيسة.

١ - مثال الأب جان كوربون: لا يتحدّث عن العرب المسيحيّين بصفتهم طوائف، بحسب مقاربة سوسيولوجيّة، بل يعتبرهم كنائس.

يستحيل الفصل بين البعد الإلهيّ والبعد البشريّ في جماعة كنسيّة، بسبب التحدّد الذي أدخل العنصر الإلهيّ في الإطار التاريخيّ البشريّ. لكن هذا لا يمنع أن نميّز تمييزًا واضحًا بين المشاركة الإلهيّة التي تربط مسيحيّي مختلف الطوائف بعضها ببعض، والإطار الذي يسير فيه المجتمع المسيحيّ والذي له لغة وثقافة معيّنتان. وقد يبدو ذلك انعكاس المناقشات المسيحانيّة التي عرفها الشرق المسيحيّ طوال قرون، والتي حاولت أن تحدّد الصلة بين الطبيعتَيْن، الإلهيّة والبشريّة، في شخص المسيح.

فالكاتب يذكّر بأهمّ الحوادث التاريخيّة. كانت كنائس رومة والقسطنطينيّة والإسكندريّة وأنطاكية وأورشليم، التي بثبت أمينة على قرارات المجمع الخلقيدونيّ، مجتمعة حول سلطة الإمبراطور، قبل أن تنفصل رومة عن المجموعة، وكان نظام الإدارة الجماعيّة شديد التراكب مع تقسيم الإمبراطوريّة الرومانيّة الإداريّ إلى أبرشيّات تحت حكم الإمبراطور. وفي القرنَيْن الخامس والسادس، نُحّت البطريركيّات الكبرى الأربع تلك الكنائس التي لم تَبْنِ قرارات مجمعَي أفسس وخلقيدونية. فأتبعت كنيسة العجم بالنسطوريّة، وكنيسة مصر القبطيّة وكنيسة أنطاكية السوريّة وكنيسة أرمينية بالمونوفيزيّة.

فعشيّة الاجتياح العربيّ الإسلاميّ، كانت كنيسة الشرق منقسمة إلى خمس كنائس. وكانت هذه الانقسامات تعود إلى خلافات سياسيّة وثقافيّة أكثر ممّا كانت لاهوتيّة: ذلك بأنّ الثقافة السامية كانت تؤكّد يومًا بعد يوم استقلالها عن تأثير بيزنطية الهلّينيّ، كما أنّ بيزنطية تميّزت عن العالم اللاتينيّ في القرن التاسع والعاشر والحادي عشر.

والحكم الإسلاميّ الذي حلّ محلّ الحكم البيزنطيّ، أسهم هو أيضًا في تصلّب مواقف مختلف الطوائف. فإنّه، بمنحه كلًّا منها استقلالًا داخليًّا، جعل منها دُوَلًا في الدولة. وهذا النظام الذي عُمل به على عهد الساسانيّين والبيزنطيّين، كُتب له أن يدوم، محدّدًا لأمد طويل وضع الكنائس المدنيّ في دار الإسلام.

إنّ الليترجيّات والتقاليد الروحيّة واللاهوتيّات الخاصّة تؤثّر في هويّة الكنائس، مع إيلاء أهمّيّة خاصّة للّاهوتيّات، بحكم الانفصال بين الهويّات الكنسيّة المحدّدة هكذا، حسبما كانت توافق أو لا توافق على القرارات المجمعيّة. وفي الوقت نفسه، ورثنا من تلك اللاهوتيّات تركةً وفيرة باللغة العربيّة أخذنا نتعرّف إليها، بفضل العمل الذي قام به الأب سمير خليل سمير وأبحاثه في الأدب العربيّ المسيحيّ.

وعند وصول العثمانيّين إلى الحكم، سُمّيت الطوائف «مِلَلًا». وعرف القرن الثامن عشر الاتّحادية التي يعدّها الكاتب طريقة لامكونيّة. وانتمت البطريركيّات الشرقيّة الكاثوليكيّة الخمس في أغلبيّتها إلى أنطاكية التي شاهدت ولادة الكنيسة العالميّة، في حين كانت أورشليم بالأحرى مركز كنيسة المسيحيّين الذين من أصل يهوديّ.

وفي نهاية ذلك التطوّر الذي لم نُشر إلّا إلى أهمّه، نلاحظ بطيبة خاطر، إن حاولنا أن

نصح رصيدًا، أنّ جميع كنائس الشرق هم حاليًا أعضاء في مجلس كنائس الشرق الأوسط، وهو يوزّعها على أربع أسر كبرى:

- الأسرة الشرقية الأرثوذكسية، وهي سُمّيت هكذا منذ أن كُفّ عن تسميتها باللاخلقيدونية. والأقباط (عشرة ملايين) ينتمون إليها.
- الأسرة الأرثوذكسية، وهي تضمّ بطريركيات الإسكندرية وأنطاكية وأورشليم. وكنيسة قبرص المستقلة.
- الأسرة الكاثوليكية، وهي تضمّ سبع كنائس. وقد قُسّمت في هذه الأسرة الكنيسة السريانية الشرقية أو كنيسة الشرق الآشورية. منذ أن وُقّعت الاتفاق المسيحاني
- الأسرة الإنجيلية أو الأسقفية.

ثمّ يتحدّث الكاتب عن الهويّات والتراثات. إنّ الهجرات بحثًا عن الحرّية جعلت هذه كنائس من الشرق على الإقامة معًا في أرض واحدة، كأرض لبنان. ومنذ عهد قريب، أعلن البطريرك من أجل لبنان موقفه لصالح المحافظة على تنوّع الكنائس التاريخية. ويؤكّد الكاتب أنّ الكنيسة الأرمنية وحدها عرفت فترة من الزمن عاشت فيها مع الأمّة في انسجام تامّ وأنّها لا تزال تحنّ إليه بعض الشيء، في حين أنّ هذه الظاهرة تمتّ بالأحرى، في نظره، إلى فقدان الحظوة. أمّا سائر الكنائس فإنّها لم تعش إلّا في نعمة الانتماء إلى العالم والاختلاف عنه في وقت واحد.

كيف تحاول كلّ كنيسة أن تدافع عن هويّتها؟ لا شكّ في أنّ الاحتفال بالقدّاس في تاريخَين مختلفَين هو من أحد مظاهر الخصوصيّات. فالجهود التي تُبذل لتحديد تاريخ واحد تواجه صعوبات، إذ إنّ كلّ مجموعة ترى أنّ الموافقة على الاحتفال بالقدّاس في تاريخ المجموعة الأخرى تؤدّي إلى النيل من هويّتها، كما أنّ تلك الجماعات تتمسّك بتوجّهاتها الخاصّة لأنّها تشكّل إرثَ هويّتها.

وفي القسم الأخير، يعالج الأب كوربُون مشاكل حاليّة. ففي إطار محيط تهيمن، إسلاميّ، متطرّف وصهيونيّ، يمثّل المسيحيّون ترشّحًا أخيرًا في عالم الحداثة والتقنيّة والثقافة. ومن خلالهم، تتجلّى ظاهرتان: دعوتهم الخاصّة ورسالتهم لدى الآخرين، وهذا ما ينفي كلّ تبشيريّة. والحال أنّ المشكلة المطروحة حاليًا هي هجرة المسيحيّين الكثيفة، التي ندّد بها الجاثليق كاريكين الثاني، بصفتها «صيغة الإبادة الجماعيّة بالانتحار». أمّا الأب كوربُون فإنّه يأخذ على المسيحيّين الذهاب بحثًا عن حياة أكثر هدوءًا، ناسين أنّ الهدوء لا يجوز أن يكون هدفهم في هذا العالم. ولكن، هل نجد شريعة من الشرائع، سواء أإلهيّة كانت أم بشريّة، تمنع مسيحيّي الشرق من الهجرة في زمن أصبح فيه الترحّل عاديًا في العالم كلّه؟

في النهاية، وبالعودة إلى الموضوع الأساسيّ، يذكّر الكاتب بأنّ المجمع الفاتيكاني الثاني وجّه دعوة إلى مشاركة الكنائس المحلّيّة. فالمطلوب، فوق الرغبة في وحدة المسيحيّين، هو تحقيق مشاركة الكنائس المحلّيّة، وهذا ما يوافق وثيقة البَلَمَند التي صدرت سنة ١٩٩٣ والتي ترفض الاتّحادية. فلا يمكن التوصّل إلى الروح المسكونيّة، ما دامت

الكنائس لا تزال تتطابق مع طوائف.

٢ - مقال الأب موريس بورمنس: أمّا المقال الثاني فلن نطيل الكلام عليه، لأنّه لا يعالج وقائع، بل يعبّر بالأحرى عن تمنّيات في ما يختصّ بالمسيحيّين العرب وبالمكان الذي يحتلّونه، والإسهام الذي يأتون به في الدول التي يعيشون فيها.

أثبت المسيحيّون حضورهم في جميع عواصم الإمبراطوريّات الإسلاميّة، في دمشق، ثمّ في بغداد وقرطبة، وما زالوا يُثبتون حضورهم حتّى أيّام النهضة العربيّة، في نهاية القرن التاسع عشر. فلكي يستطيعوا أن يقوموا بدورهم في زمننا، يجب عليهم أن يتحرّروا من ثقل الماضي. إنّ المسيحيّين يكوّنون شكلَين من المجتمع: المدنيّ والدينيّ.

على المسيحيّين، بصفتهم مجتمعًا مدنيًّا، أن يشاركوا بإرادة حسنة في المجتمعات التي يعيشون فيها، وأن يساهموا في تحسينها وفي تطوير قانون مدنيّ. ليس تطبيق الشريعة حلًّا. ويُنتظَر من الكتب المدرسيّة أن تصوغ أمّة عربيّة أكثر وحدة وتجانسًا، بدل أن تُخلّد الفوارق بين الطوائف.

ثمّ يذكّر الكاتب بإسهام المسيحيّين منذ قيام النهضة. إنّ مجلّتَي المشرق والمسرّة، ومنشورات المعهد الدومنيكانيّ للدراسات العربيّة في القاهرة، ومجلّة إيلا التي يُصدرها معهد الآداب العربيّة بإدارة الآباء البيض في تونس، هي منشورات واكبَت حركة نقل واسعة، أُريد بها وضع تلك المؤلّفات في متناول جميع الذين لا يتقنون اللغات الأجنبيّة.

في ما يختصّ بالقرانات المختلطة بين المسيحيّين والمسلمين، يسلّم الكاتب بأنّها، في أغلب الأحيان، تؤدّي إلى مآسٍ، لكنّه يضيف أنّ بعضها ناجح تمامًا. ويشير أيضًا إلى مسألة اشتراك المواطنين في الحياة العامّة، وإلى التمييز بين الدين والسياسة، وهو، في نظره، أسهل تحقيقًا عند المسيحيّين.

لا يجوز تسمية المجتمع الدينيّ بـ«طائفة»، بل بـ«كنيسة». هذا وأنّ التعاون بين الطوائف يزداد، فهكذا أسهم بطاركة الشرق الكاثوليك في تعيين الفلسطينيّ ميشيل صبّاح في كرسيّ أورشليم اللاتينيّ. إنّ كنائس الشرق قد خطت خطوات كبيرة نحو الروح المسكونيّة. إذ إنّ البيانات المسيحانيّة المشتركة مكّنت الأقباط والسريان والأشوريّين من الشهادة لإيمانها المشترك بكنيسة روما. فمن شأن صيغ التعاون كلّها أن تسهّل الحوار مع المسلمين واليهود. ولقد أسهم مجمع الأردنّ الملكيّ إسهامًا معروفًا في تلك الحوارات بين الأديان.

ويختم الكاتب مستشهدًا بما كتبه المطران جورج خضر: «أيًّا كانت الدول الحاليّة وشكلها وأنظمتها، يبقى مبرّر المجتمع المسيحيّ الروحيّ تفوّقه بصفته أسرة كنائس مرتبط بعضها ببعض ارتباطًا عضويًّا، ومرتبطة كلّها بغير المسيحيّين، بالمحبّة المنزّهة عن كلّ سياسة تحسب إلى بعيد، لأنّ الكنيسة ليست أمّة بين سائر الأمم».

يبدو من العرض السابق أنّ من حسنات الموسوعة هذه وتعدّد الموضوعات التي تطرّقت إليها، أنّها تقود المطالع إلى التفكير انطلاقًا من معطيات ملموسة توفّرها الخبرة وواقع

الحياة. ولا بدّ لكلّ مَن يتوخّى حيفة، لا سيّما بين أبناء الطفلة، من هشاشة وضع الجماعات المسيحيّة، من أن يجد في معطيات الكتاب أسبابًا وجيهة تدفع المسيحيّين إلى أن يدخلوا مع مواطنيهم المسلمين في شركة يتوقّف عليها مصير كلّ من الفريقين.

الأبوان لاسلو صابو وكميل حشيمه

Orientalia Christiana Analecta, 258
Faith, Power and Violence
«Muslims and Christians in a Plural Society, Past and Present»,
edited by John J. Donohue, S.J. and Christian W. Troll, S.J.
Pontificio Istituto Orientale, Roma, 1998. 313 pages

الإيمان والقدرة والعنف
مسلمون ومسيحيّون في مجتمع تعدّدي، ماضيًا وحاضرًا

يجد القارئ في العدد ٢٥٨ هذا من سلسلة «مختارات شرقيّة مسيحيّة»، مداخلات الندوة التي عقدها، في تعنايل (لبنان) من ٩ إلى ١٥ نيسان (أبريل) ١٩٩٦، فريق دولي من اليسوعيّين الذين يعملون بين المسلمين، فكانت خامس لقاء ينتبم منذ أن بُوشرت العام ١٩٨٣ في لبنان.

أمّا موضوع اللقاء، كما ورد في عنوان هذا التعريف، فتمليه عودة الدين، في العقود الأخيرة، إلى الساحة السياسيّة بزخم وفي صيغ جديدة، فضلًا عن انتشار ظاهرة العنف التي كثيرًا ما تتّسم بها الهويّة الدينيّة والإثنيّة، والتي يمتّيها بعضهم إرهابًا، وبعضهم الآخر مقاومة مشروعة.

لقد تركّزت المناقشات حول العلاقات الدوليّة، في فترة ما بعد الشيوعيّة، على نموذج يجعل من تصادم الثقافات «سيناريو» للمستقبل. وهناك قناعة عند فريق اللقاء اليسوعي بأنّ التفاهم يحول دون أخطار المواجهة. لذلك، حاول هذا الفريق أن يبحث في بعض نواحي العلاقات التاريخيّة والمعاصرة، وهي علاقات متنوّعة جدًّا، بين المعتقدات والقيَم التي يتمسّك بها الإيمان وينشرها من جهة، والقوى السياسيّة التي كثيرًا ما ترافقها عادةً مظاهر العنف من جهة أخرى.

لقد أسهمت بعض مداخلات الندوة في تسليط الأضواء على الاعتبارات التاريخيّة والاجتماعيّة، وتناولت التحاليل المتنوّعة المبنيّة على نصوص قانونيّة، كما شكّلت مداخلات أخَر أبحاثًا في حالات معاصرة وأفكارًا مبنيّة على هذه الأبحاث. فدار الكلام على حالات في الصحراء الأفريقيّة ومصر وأفريقيا الشماليّة وجنوب شرق آسيا وأوروبّا، علمًا بأنّ المساهمين في هذه الندوة لا يتميّزون بدراساتهم المستفيضة في الديانتين

المسيحية والإسلامية وحسب، بل إنّ معظمهم يعيش ويعمل في أنحاء من العالم تتفق مع مساهماتهم.

في الرسالة الرعوية التي أصدرها، في ميلاد ١٩٩٤، بطاركة الشرق الكاثوليك، بعنوان «معًا أمام الله في سبيل الإسلام والمجتمع»، اقترح الأحبار أن يطوّر المؤمنون المسلمون والمسيحيّون نوعًا جديدًا من التعهد يخلّصهم من النزاع إلى الحوار. وفي هذا السياق، تكون المرحلة الأولى أن تُشفى ذاكرتنا الديانتين من معطى المقاومة والحذر، وتسيرا في طريق الحوار. إنّ الندوة، وهذا المحفّل الذي هو ثمرتها، ينطلقان من وجهة النظر هذه.

أربعة عشر راهبًا يسوعيًا من جنسيات مختلفة دوّنت مداخلاتهم في هذا الكتاب، نقدّم خلاصة عنها.

- الأب روبرت بنديكتي (Benedicty) المجريّ: «التشكيلة السياسية الثيوقراطية. محاولة تعريف مفهوم». عكف الباحث على استقصاء الخلفيّات الاجتماعية التاريخية لما اصطُلح على تسميته الفاتيكان السياسية، وذلك في المنطقة الثقافية التي تشمل المجتمعات المسيحية في أوروبا الشرقية المتحدّرة من الدولة البيزنطية وخلفائها الصقلبية من جهة، والمجتمعات الإسلامية المنبثقة من الخلافة الإسلامية في صيغتها العربية والعثمانية من جهة أخرى. فعلى الرغم من التنوّعات الإقليمية والقومية، فإنّ تلك المجتمعات تتميّز بعدد من السمات البنيوية المشتركة بينها جميعًا. لقد تمّ ضبط تلك السمات في إطار شبكة ثلاثة تغيّرات، وهي: مفهوم الدولة وشرعية السلطة والولاء.
- الأب لويس بواسّيه (Boisset) الفرنسيّ: «الإيمان والقدرة والعنف. قراءة مجدّدة للحملة الصليبية». إنّ الصلة بين الإيمان والقدرة والعنف تبدو، في تاريخ الحملات الصليبية، تفاعلًا. فالإيمان يعمل عملَ حضورٍ محسِّن يسكن الحميّة التي نجدها في نقطة الانطلاق، ليجتدها في الزمن ويحقّقها في البشير، في حين تُنقل القدرة إلى الكلام، ويصبح العنف شهادة. لكنّ قراءة الحملة الصليبيّة قراءةً مجدّدة تنطلق من وجهة نظر غربية، وهي تختلف تمامًا إن دار الكلام على المسيحيّ الشرقيّ أو العربيّ المسلم.
- الأب مرتين مَكْ دورمت (Mc Dermott) الأميركيّ: «مقارنة بين لاهوت التحرير وجهاد الإمام الخميني». رفضت الكنيسة لاهوت التحرير بصفته نظامًا غريبًا عن الإنجيل، وهو الماركسيّة. أمّا الجهاد فإنّه جزء لا يتجزّأ من الإسلام منذ نشأته. ولذلك، فإنّ الإمام الخميني أعاده إلى الحياة ونشّطه، وأدرجته الجمهورية الإسلامية في دستورها. فالديانتان ظهرتا أمّيتين على تقاليدهما.
- الأب جان دونوهيو (Donohue) الأميركيّ: «في سبيل الحقّ والعدل. الاستشهاد في تقاليد الديانات التوحيدية الثلاث». تبحث هذه الدراسة في مفهوم الاستشهاد في اليهودية والمسيحية والإسلام، وترسم الخطوط العريضة لتطوّر هذا المفهوم في اليهودية، من الحرم المنفّذ في العدوّ المغلوب إلى العبد المتألّم والتضحية بالنفس.

وفي المسيحية، من العهد المتألم إلى الاضطهادات، قبل أن يُعمَّم ليشمل الصبر على تقلّبات الحياة. وفي الإسلام، يتحدّث المفهوم أوّلًا عن أولئك المحاربين الذين يموتون في المعارك في سبيل الإسلام، ثمّ يتّخذ معنًى أعمّ يشبه معنى المسيحية الحديثة.

- الأب باولو دال أوليو (Dall' Oglio) الإيطاليّ: «ماسينيون (Massignon) والجهاد في ضوء شارل دي فوكو (de Foucauld) والحلاّج وغاندي»: ينطلق دال أوليو من سيرة ماسينيون واهتدائه إلى الدين المسيحيّ في إطار لقائه الإسلام، وتعرُّفِه إلى شارل دي فوكو وإكبابه على درس مؤلّفات الحلاّج، واكتشافه شخصيّة غاندي، فيبرز ما في سيرة ماسينيون الفكريّة والوجوديّة من وحدة كامنة، ويقدّمه مثالًا على موقف المسيحيّ من تحدّي الإسلام.
- الأب سمير خليل سمير المصريّ: «النقاش حول جريمة الرِّدّة في الإسلام المعاصر». يرى الرأي العامّ الإسلاميّ أنّ المرتدّ يستوجب الموت، بحكم ما يسمّى «حدّ الرِّدّة». ولقد اتّخذت هذه المشكلة مزيدًا من الحدّة في العقود الأخيرة، مع ظهور «الصحوة الإسلاميّة»، علمًا بأنّ المسلمين الأصوليّين أولوا تلك العقوبة أهمّيّة مجدّدة. وفرضوا تطبيقها على المسلمين المهتدين إلى الدين المسيحيّ.
- الأب كريستيان فان نِسپين (Van Nispen) الهولنديّ: «قانون الحسبة الجديد في مصر: مدلوله، إطاره، التباساته». يحدّد الكاتب معنى قانون الحسبة الجديد والمسائل التي يثيرها، فيذكّر أوّلًا بمدلول «الحِسبة» في التاريخ، ثمّ يتطرّق إلى وضعها في مصر قبل صدور القانون الجديد، شارحًا ما يعنيه، ويختم كلامه بتفكير في هذه الحقيقة في إطار التطوّر الحاليّ الذي يعرفه المجتمع المصريّ في داخل مجمَل العالم العربيّ والعالم الإسلاميّ.
- الأب پتريك رايَن (Ryan) الأميركيّ: «الإصلاحيّ والثوروريّ في أفريقيا الغربيّة: بحث في الإسلام في غانا». المسلمون هم أقلّيّة في غانا (١٦٪)، لكنّهم، ابتداءً من القرن الخامس عشر، أخذوا يعيشون في هدوء وسلام، في إطار محيط تعدّديّ، مع أنّ تقليد الجِهاد الثوروريّ كان له تأثير في القرن التاسع عشر، وقد حصل في أيّامنا على دعم من قِبَل قوى وهّابيّة، لا بل شيعيّة أيضًا، أتت من خارج البلد في العقود الأخيرة. ويُخشى أن تعمل على إفقاد الاستقرار في داخل الإسلام وفي علاقاته بالمسيحيّين والتقليديّين في غانا.
- الأب هنري كودريه (Coudray) الفرنسيّ: «اللغة والهويّة والسلطة والدين: النزاع حول استخدام الفرنسيّة والعربيّة في تشاد». يبلغ عدد المسلمين في هذا البلد نحو ٥٣٪ من السكّان. ولذلك يتّسم النقاش حول وضع اللغة العربيّة بالحساسيّة. ففي السنة ١٩٧٨، عُدّت العربيّة، إلى جانب الفرنسيّة التي تتمتّع بوضع مميَّز، لغة وسميّة ثانية، وهذا ما رفضه قسم لا يُستهان به من السكّان غير المسلمين. في الواقع، وراء النقاش حول وضع الفرنسيّة والعربيّة، تكمن خيارات اجتماعيّة مختلفة ويكمن صراع من أجل السلطة، حيث تُستخدم الاعتبارات المذهبيّة للخير أو للشرّ.
- الأب توماس ميشيل الأميركيّ: «التوفيق أو المجابهة: المسلمون الأندونيسيّون

والسياسة في النظام الجديد». إنّ أكبر اهتمام المنظّمات والمفكّرين المسلمين في أندونيسيا في أيّام «النظام الجديد» (١٩٦٥-١٩٩٦) كان تحديد دور الإسلام في أمّة عصريّة مسلمة في جوهرها، حيث مراكز السلطة الحقيقيّة تُفلت من أيدي القطاع الملتزم دينيًا. فالطريقة التي ردّ بها أولئك المفكّرون وتلك المنظّمات على حنانك النظام الجديد السياسيّة والدور التطوّريّ الذي يتوقّعونه للإسلام في نظام أندونيسيا العصريّة السياسيّ هما موضوع هذه المساهمة.

- الأب كريستيان ثرول (Troll) الألمانيّ: «الحُكم الإلهيّ وقيامه على الأرض: نقاش إسلاميّ أسيويّ جنوبيّ». تقارن هذه المداخلة المفكّر المسلم مولانا مودودي بالحاكم المعروف مولانا وحيد الدين خان، فتقول إنّ الثاني يأخذ على الأوّل نظرته إلى الدين، مع أنّ مفهومه له يتضمّن جميع العناصر الجوهريّة، مشوّهة إلى حدّ بعيد، لأنّه يرى في الدين بوجه خاصّ نظامًا اجتماعيًا سياسيًا، جاعلًا من هذا النظام عنصرًا منفرّقًا من عناصر الإسلام. لا شكّ في أنّ الإسلام يعني أوّلًا صلة بين الله وعباده، في حين أنّ وجهه النظاميّ ليس إلّا مظهرًا خارجيًا من عنصره الأساسيّ.
- الأب ديزيديريو بنتو (Pinto) الهنديّ: «العلاقة الصوفيّة بين المعلّم والتلميذ في الهند، والقدرة». إنّ تلك العلاقة التي يقال لها في اللغة البنديّة «پيري - مُريدي» (piri-muridi)، تهدف إلى الاتّحاد بالله. وهذا الاتّحاد قد يؤدّي إلى شيء من التأثير في الله أو إلى قدرة روحيّة. وحين تصبح هذه القدرة ميمونة ماديًا أو نفسيًا، أو هدّامة لشخص آخر على الأقلّ، تُسمّى معجزة. والمعجزات هي هامّة جدًا، لأنّ الفداحة والاتّحاد بالله ليس هما أمرًا خاصًا باطنيًا بين الفرد والله، بل مصدر وضع اقتصاديّ وسياسيّ واجتماعيّ في الجماعة. فالاتّحاد بالله قد يعني، بوجه مبسّط، تطبيق أساليب وُضعت للوصول إلى القدرة التي تُجري المعجزات.
- الأب هنري سانسون (Sanson)، وهو فرنسيّ يعيش في الجزائر: «في الإسلام حاليًا: من المساكنة إلى العيش المشترك». إنّ هذا الانتقال من المساكنة إلى العيش معًا يثير بعض المشاكل بقدر ما يُفكّر في التبشير بألفاظ انتقائيّة. لكن الأهمّ، حتّى في أمور الانتقاف، ليس وجود الناس بعضهم عند بعض، بقدر ما هو وجود بعضهم من أجل بعض. والأمر الذي يتغيّر هو كيفيّة العيش مع الآخرين، في حين أنّ الأمر الذي لا يتغيّر هو العيش من أجل الآخرين.
- الأب جورج شتول (Stoll) الألمانيّ: «المسلمون في ألمانيا. الشعور الذاتيّ وقضيّة القدرة والعنف». إنّ المسلمين في ألمانيا (نحو ٣٠٪ من السكّان الذين يبلغ عددهم ٨٠ مليونًا) يقبلون عادةً الدستور العلمانيّ. لكنّهم يعبّرون عن قلقهم ويُظهرون بذلك أنّ الإجراءات الدستوريّة الحاليّة ليس لها في نظرهم سوى قيمة موقّتة. إنّهم يعانون وضعهم كأقلّيّة ويتأثّرون أحيانًا بفكرة العنف، فلا يشكّون في صلتهم بالعنف وبمستلزماته الدينيّة. ويبدو أنّهم يشعرون بحاجة إلى شيء من الوعي الذاتيّ، والحال أنّ هذا الأمر قد يكون حاجزًا فعّالًا يحول دون العنف.

أ. صبحي حمويّ

J.M. GAUDEUL, *Disputes? Ou rencontres?*
L'Islam et le christianisme au fil des siècles,
vol. I «Survol historique», vol. II «Textes témoins»
coll. «Studi arabo-islamici del PISAI», n° 12, Roma 1998, 379 p. & 389 p.

مجادلات؟ أم لقاءات؟
الإسلام والمسيحيّة على مرّ العصور
تأليف ج.م. كودول

ظهر هذا الكتاب بجزأين. يتألّف الجزء الأوّل من ثمانية فصول يقرأ فيها الكاتب اللقاءات الإسلاميّة المسيحيّة، في وجوهها المتعدّدة، عبر العصور، قراءة خاطفة. ويقدّم في الجزء الثاني مجموعة نصوص مختارة تواكب القراءة التاريخيّة في الجزء الأوّل.

ينطلق المؤلّف، في الجزء الأوّل، من نشأة الإسلام، ويبيّن تطوّر موقف محمّد من اليهوديّة والمسيحيّة على السواء. فذلك الموقف يبدأ بشعور بالوحدة، ثمّ يتحوّل إلى مواجهة، ويصبح أخيرًا قطيعة. وثمّة فكرتان أساسيّتان تنضجان من خلال هذه السواجيات، هما أنّ الإسلام هو الدين الوحيد الذي يقبله الله، وأنّ القرآن يكفي نفسه بنفسه. ولا شكّ في أنّ هاتَين الفكرتَين تمثّلان، في الوقت نفسه، قاعدة الحوار وصعوبته.

وبغية أن يرسم المؤلّف لوحة موضوعيّة عن تطوّر الحوار، اتّبع، في الفصول (٢-٧)، بنية متشابهة إلى حدّ كبير. فبدأ بعرض الأطر التاريخيّة التي دارت فيها اللقاءات الإسلاميّة والمسيحيّة، مظهرًا خطوط الحوار العريضة، متطرّقًا إلى أهمّ الشخصيّات الفكريّة التي قامت بدور فاعل في هذا المضمار، شارحًا بإيجاز نتاجها الأدبيّ، مزوّدًا شرحه لائحةً مراجع، وخاتمًا بخلاصة يحدّد فيها موقع الحوار في كلّ حقبة تاريخيّة. ولا ريب أنّ المؤلّف توفّق في شرح تداخل السياسة في الدين، وهيمنة لغة السلاح على مدى عصور، وتحوّل المسيحيّة والإسلام إلى مجتمعَين مختلفَين تتقلّب علاقةُ بعضهما ببعض بين العداوة والتدبير واللامبالاة والحذر المتبادل. غير أنّ التبادل الثقافيّ لم يغب، ومثله التبادل التجاريّ. كما كان هنالك لقاءات ومراسلات بين مفكّرين من الديانتَين. ولكن من الصعب أن نقول إنّ المسيحيّة والإسلام عرفا لقاءً حقيقيًّا يقوم على الإصغاء المتبادل البعيد عن المجادلات والخوف والشكّ في نوايا الآخر. وفي هذا الإطار، يقدّم المؤلّف جملة اقتراحات استنتجها من المجادلات والأزمات من شأنها أن تنير سبيل اللقاء الحقيقيّ (ص ٣٢٠-٣٣١).

أمّا الفصل الأخير، بعنوان «بتيادة الروح...»، فهو يتلخّص بدعوة المسيحيّ إلى أن يضطلع بدوره في لقاء الإسلام، وألّا يكتفي بدور المراقب. لذا، يحاول المؤلّف أن يميّز، من خلال قراءة أحداث الماضي والحاضر، واستعراض بعض الوجوه، إنْ كان الله يدعونا إلى اتّخاذ مبادرات ومواقف جديدة. فممّا لا شكّ فيه أنّ حياة جديدة تتفتّح في الكنائس عنوانها الانفتاح على الآخر، كما أنّ اللقاءات بالمسلمين، بالرغم من صعوباتها، وبالرغم

من الحركة الإسلامية الأصولية، تلمح شرايين سمحة صداقة وأخوة. فلا ريب أنّ روح الله لا يزال يعمل!

وفي ما يتعلّق بالجزء الثاني، فقد قسم المؤلّف إلى قسمين: قسم أوّل تحدّث فيه نصوصًا عن اللقاءات بين المسيحيّة والإسلام في مختلف مراحلها ووجوهها التاريخيّة، من القرن الثامن إلى القرن الحالي؛ وقسم ثانٍ اختار له نصوصًا عن أهمّ الموضوعات التي سادت كتابات المسلمين والمسيحيّين ولقاءاتهم في كلّ عصر، ومنها الثالوث وسرّ والتجسّد والكتاب المقدّس ونبوّة محمّد والديانة الحنيفيّة وممارسات الطقوس، إلخ.

الأب صلاح أبو جوده

ديوان الحلّاج

أعدّه وقدّم له عبده وازن

دار الجديد، بيروت، ١٩٩٨، ٣٢٠ صفحة

عَرَف المثقّفون الأستاذ عبده وازن صحافيًا أديبًا وناقدًا لامعًا، كما خبروه شاعرًا رقيقًا جريئًا، وقد تناولت الصحف في لبنان وخارجه ما عاناه من الرقابة الرسميّة في إثر ظهور ديوانه حديقة الحوّاس (بيروت، ١٩٩٣)، الذي سرعان ما أعيد إليه الاعتبار. واليوم، مع إصداره ديوان الحلّاج مقدّمًا له بدراسة ضافية، يظهر عبده وازن بمظهر متكامل، جامعًا بين الناقد والباحث والشاعر، فضلًا عن الملمّ بالروحيّات.

أوّل ما يلفت الانتباه أنّ المقدّمة العلميّة المكثّفة التي تصدّرت الكتاب بصفحاتها الأربع والسبعين، تُقرأ بسهولة ولذّة، إذ استطاع كاتبها أن يرسم صورة دقيقة شائقة عن الحلّاج، ذاك المتصوّف الكبير (ولد نحو ٨٥٧م) الذي شغل العلماء ورجال الفكر بشخصيّته الفريدة وتعاليمه الجريئة. فقد بيّن أنّ هذا العملاق كان نموذجًا نادرًا من نماذج الثورة الروحيّة في الحضارة الإسلاميّة، إذ جمع بين الدعوة الصوفيّة والهمّة الإصلاحيّة المتمرّدة على المفاهيم السائدة، وجعلته جرأته وتمسّكه بمبادئه يواجه أعداء لدودين أوقعوا به، وقادوه إلى الموت صلبًا ثمّ تغليعًا فحرقًا. إلى ذلك أجاد عبده وازن أيضًا في بيان ما اتّسمت به شخصيّة الحلّاج من تناقضات، أقلّه في بعض مواقفه المعلَنة، ممّا دفع بالذين تناولوه بالدرس يتقسمون بين معارض ومؤيّد، والجميع على كلّ حال يعترفون بمواقف له سامية تقول بالمحبّة للجميع، وبضرورة التضحية والمسامحة وطلب المغفرة لمضطهديه أنفسهم.

وكما وُفّق عبده وازن إلى رسم صورة الحلّاج، كذلك نجح في تحقيق عدد من الإيجابيّات، منها درس شخصيّة بطله في إطارها التاريخي، مبيّنًا كيف أنتج الرخاء السائد في الحضارة العبّاسيّة، وما واكبه من فجور، ردّ فعل تصوّفيّ ورجوع إلى التقوى (على نحو ما حصل في مصر مع قيام حركة التوحّد في العصور المسيحيّة الأوائل).

ومن هذه الإيجابيّات أيضًا تحليله مواقف مؤيّدي الحلّاج ومناوئيه، مفضيًا إلى إنصاف

الرحل، قائلًا إنّه «قد يبدو متناقضًا في نظر مَن يقرأه قراءة أفقيّة أو «حارجيّة». أمّا مَن يقرأه قراءة عميقة وداخليّة فيدرك أنّ تناقضه ظاهريّ وعرضيّ وليس جوهريًّا» (ص ٣٥). ويضيف «قد يستغرب البعض قول الحلّاج بما يسمّيه «كفرًا» سواء في شعره أم في نثرياته. ولكن مَن يُنعم النظر في هذه المقولة يكتشف حقيقتها الإيمانيّة. فالكفر هو كفر ظاهريّ، كفر المؤمن الذي فني عن كلّ ما سوى الجوهر، كفر المتصوّف الذي تجاوز العالم الحسّيّ وذاب في نور الله، كفر المتديّن الذي تخطّى الشعائر إلى حقيقتها الكامنة وراءها» (ص ٣٦).

ومن حسنات الكتاب أنّه أفاد بذكاء من الدراسات التي سبقته، قديمها وحديثها، سواء في الشرق، (ابن تيميّة، سعاد الحكيم، عبد القادر محمود...)، أو في الغرب. حاضة أعمال المستشرق الكبير العلّامة لويس ماسينيون. كما أنّه، وإن لم يزد جديدًا يُذكر على ما عُرف من نصّ ديوان الحلّاج، إلّا أنّه استطاع أن يقدّم مجموعة هي خير ما لدينا الآن، إذ انطلق وازن ممّا أنجزه ماسينيون في ديوانه وما حقّقه من بعده كامل مصطفى الشيبيّ (طبعة بيروت، ١٩٧٤، ثمّ طبعة بغداد ١٩٨٤)، فقارن بين عمليهما وتوصّل إلى صيغة جديدة «تجمع ما فات الأوّل وورد لدى الثاني، وما فات الثاني وورد لدى الأوّل» (ص ٧٣).

وحسنًا ما فعل وازن أيضًا إذ اكتفى في تعاليقه على الديوان بشرح المفردات الصعبة والمصطلحات شرحًا لغويًّا، معرضًا عن شرح المعاني، فهي غامضة في بعض الأحيان وتفترض تأويلًا تحاشاه ليترك للقارئ أن يفسّر كما يطيب له.

ولا شكّ في أنّ ما قام به عبده وازن يُعدّ عملًا جدّيًّا متكاملًا من أجود ما عرفناه في مجاله. ولنا، في سبيل تحسين الطبعة اللاحقة، بعض الاقتراحات:

١. أن تجمع عناوين المراجع الكثيرة المستعملة، في ثبت واحد في آخر الكتاب.

٢. أن تُعاد صياغة فهرس مطالع الأشعار بحيث ترتّب تلك المطالع لا بحسب ورودها في الكتاب (وهو تحصيل حاصل)، بل بحسب حروفها الأوائل ليسهل العثور عليها بسرعة.

٣. أن يتحاشى المحقّق الكريم بعض الأغلاط الشائعة التي نتمنّى على كتّابنا الكبار أن يحاربوها كما تحاربها. من ذلك: «حبًّا بالموت» (ص ١٤ س ٢١) والصحيح: حبًّا للموت؛ «من عام إلى آخر» (ص ١٢ س ٩) فهي صيغة أجنبيّة، والصحيح: عامًا بعد عام؛ «واختلفت من مخطوط إلى آخر» (ص ٧٠-٧١)، والسليم: بين مخطوط ومخطوط؛ «على ضوء القربان» (ص ٢٨ س ١٤)، وصحيح القول: في ضوء؛ «في تقديمه الديوان، قارن ماسينيون» (ص ٧٠ س ٢١)، والأصحّ: قارن ماسينيون، في تقديمه الديوان...؛ «يسمى البعض» (ص ٢٢ س ١٧، إلخ...) والعبارة السليمة هي: يسمى بعضهم.

٤. قال وازن إنّ أطروحة ماسينيون الضخمة المعنونة آلام الحلّاج لم تنقل إلى العربيّة حتّى اليوم. فما رأيه لو تطوّع لذلك؟ وقد يكون خيرَ مَن يفعل.

أ. كميل حشيمه

STUDIA ORIENTALIA CHRISTIANA
Collectanea 31; Studia-Documenta
The Franciscan Centre of Christian Oriental Studies
Cairo-Jerusalem, 1998, 296 pages.

يتابع حضرة الآباء الفرنسيّين إصدار محلّتهم دراسات شرقيّة مسيحيّة باهتمام، والمجموعة ٣١ ملبئة، مثل سابقاتها، بالأبحاث القيّمة المفيدة. الأوّل مقال بالفرنسيّة لإسطفان فرهلست S. Verhelst حول «إدخال طقس التقدمة وزواله في ليتورجيا أورشليم» (ص ٥-٣٤)، وهو مبنيّ على درس مخطوطين قديمين جدًّا، أحدهما يونانيّ والثاني كرجيّ (جيورجيّ). - المقال الثاني، لمؤلّفه هربرت بُوسّه H. Busse، منشور بالألمانيّة وموضوعه «موت يسوع بحسب ما ورد في القرآن (السورة ٣: ٥٥) وفي تفاسيره الإسلاميّة» (ص ٣٥-٧٦)، ويتبعي بمقارنة بين موت محمّد وموت يسوع. - أمّا الدراسة الثالثة فهي بالإيطاليّة (ص ٧٧-١٤٤) ومؤلّفها ليبرو كرُوتشياني L. Cruciani، وعنوانها «اليوميّات الخاصّة بدير الأرض المقدّسة الكريم في القاهرة (١٨٨٣-١٨٩٥)»، وهذا الدير هو القائم في محلّة الموسكي. والمقالة مذيّلة بفهرس بالأسماء. - المقال الرابع (ص ١٤٥-١٥٢) يدرس، بالفرنسيّة، نصًّا منقوشًا على مَعْلمة من معالم المساحة في أيّام الإمبراطور الرومانيّ ديوقلسيانس، وقد عُثِر عليه العامَ ١٩٦٣ في تسال سورية على مقربة من جسر الشغور. والمقال، على صغره، مشحون بالأخطاء الإملائيّة التي يبدو أنّ سببها تعثُّر عمل الكمبيوتر! - وجاء المقال الخامس، وهو بالإيطاليّة، دراسة قام بها بِرتولوماو بِيرُونه B. Pirone بعنوان: «حياة القدّيس أرساتيوس في مصدر عربيّ» (١٥٣-٢٢٠)، فقدّم للنصّ بنحو عشرين صفحة ثمّ نشر المخطوط، وهو ضمن مجموع باريس ٣/٢٦٢، ويعود إلى القرن الخامس عشر ومصدره سورية. وإلى جانب النصّ المحقَّق ترجمته إلى الإيطاليّة. - أمّا المقال السادس (ص ٢٢١-٢٥٨)، فهو «لائحة غير منشورة بالقدّيسين الذين تكرّمهم الكنيسة القبطيّة الكاثوليكيّة»، حقّقها ونقلها إلى الإيطاليّة حضرة الأب البحّاثة وديع أبو الليف. وللأب وديع أيضًا دراسة بالعربيّة عنوانها «الأنبا ميخائيل أسقف تِنِّيس مؤرِّخ الكنيسة القبطيّة في العصر الفاطميّ الأوّل» (ص ٢٦١-٢٩٢). وفي المجلّد تعريف لكتب ذات أهمّيّة تُعنى جميعها بموضوعات تتعلّق بشؤون الآباط وأعلامهم.

أ. ك. حشيمه

الفكر العلميّ العربيّ
نشأته وتطوّره
تأليف جورج صليبا
مركز الدراسات المسيحيّة الإسلاميّة - جامعة البلمند، ١٩٩٨، ٢٢٥ صفحة

فرادة هذا الكتاب وقيمته الكبيرة أنّه يقلب رأسًا على عقب نظريّات سابقة حول تاريخ العلوم عند العرب، فيأتي بنتائج جديدة ذات أهمّيّة قصوى. لقد درج مؤرّخو العلوم عندنا،

بتأثير من المستشرقين، إلى تصوير تاريخ الحضارة العربية والإسلامية وكأنّه تاريخ التطوّر الديني والفقهي فقط، وأدّت هذه المنهجية الاستشراقية إلى تصوّر مرحليّة (periodization) قسّمت تاريخ حضارتنا إلى مراحل جاهليّة، وانتقاليّة، وذهبيّة، وانحطاط. أمّا البرونصور صليبا، فلم يقبل مثل هذه المقولة ونقدها في سائر ما ألّفه من كتب ومقالات حول تاريخ علم الفلك عند العرب، وجاء كتابه الصغير الأخير هذا مختصرًا مكثّفًا لأطروحته. فهو يرى أنّ المرحليّة السائدة غير صحيحة في تقسيماتها، كما أنّ وصف سمات بعض المراحل كما جاء في المفاهيم الرائجة، غير دقيق لأنّه لم يأخذ بعين الاعتبار الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة آنذاك.

فأوّل ما يبتدعه الأستاذ صليبا، مستندًا إلى نصوص من ابن النديم وحنين بن إسحق (ص ٦٥) وسواهما، أنّ نقل العلوم من اليونانيّة والسريانيّة إلى العربيّة لم يكن من باب حُلم راود أحد الخلفاء كما درج عليه التقليد، بل كان له أسباب اجتماعيّة اقتصاديّة يجدر الوقف عليها، ومفادها أنّه لمّا عرّب عبد الملك الدواوين، فقَدَ أصحابها السابقون من نصارى ومجوس نفوذهم، فأرادوا أن يعوّضوا خسارتهم بأن يأتوا بعلوم لفائدة الدواوين أوسع مجالًا وأعمق، وبذلك يتمكّنون من تحقيق احتكار جديد للمناصب يتسنّى لهم عن طريق الجدارة. والدليل على حقيقة ذلك الأمر أنّ أسرًا بأكملها عادت إلى بلاط الدولة في الحقبة العبّاسيّة بسبب كون أفرادها على معرفة وثيقة بالعلوم اليونانيّة المتقدّمة. وكان من تنافس كبار الموظّفين في الدولة أنّه دفعهم إلى الإكثار في ما نقلوه وإتقانه، كما أنّهم تعدّوا عمليّة النقل إلى عمليّة الإبداع.

وقد أيّد الدكتور صليبا مقولته الأخيرة منطلقًا من مثال علم الفلك، الذي خصّه بالفصل الثاني في كتابه، فبيّن بالحجج الكثيرة الدامغة ما أتى به العرب من جديد في هذا المضمار، لا في أثناء ما سمّي بعصر علومهم الذهبيّ وحده، بل في ما تبعه بعد القرن الثالث عشر أيضًا ما رأى أنّه سمّي خطأً بعصر الانحطاط. فعلماء عصر الترجمة أنفسهم، كحنين بن إسحاق وقسطا بن لوقا وسواهما كانوا بدورهم أصحاب تآليف علميّة جديدة مبتكرة، كما أنّه قامت لدى العلماء العرب عمليّة نقد المفاهيم اليونانيّة القديمة وإعادة النظر فيها وتصحيح ما حملته من أخطاء، ممّا يثبت تنزّد علم الفلك العربيّ بالأصالة إذا ما قورن بعلم الفلك اليونانيّ. ومن خلال تقصّي الأسباب التي أدّت إلى الأخطاء، بدأ هؤلاء العلماء يثيرون القضايا المتعلّقة بالرصد، فابتكروا، إلى جانب المنهجيّة الجديدة، الآلات الجديدة. وكذلك أرسوا علومًا جديدة كعلم الفرائض، وعلم الجبر الذي نبغ فيه الخوارزميّ، وعلم المثلّثات الذي كان من أساطينه حبش الحاسب.

أمّا إبداع العرب في ما قيل إنّه عصر الانحطاط، فهو كثير أيضًا، خلافًا لما يظنّه المتسرّعون السطحيّون في معلوماتهم وأحكامهم. ويذكر صليبا بأعمال علماء أفذاذ كمؤيّد الدين العرضيّ (١٢٦٦م)، ونصير الدين الطوسيّ (١٢٧٤م)، وابن الشاطر الدمشقيّ، ويحيى بن أبي الشكر المغربيّ، وقطب الدين الشيرازيّ وغيرهم. والجدير بالذكر أنّ العرضيّ، في أثناء ابتكاره هيئة جديدة لأفلاك الكواكب العليا، أي في وصفه حركة كلّ من

كواكب زحل والمشتري، والمرّيخ والزهرة، وضع نظريّة علميّة حديثة استخدمها كوبرنيك بعد ثلاثة قرون تقريبًا. وظلّ العلماء العرب يتتحون ويبدعون في العصور المتأخّرة، مهم صدر الشريعة البخاريّ، وعلاء الدين القوشجيّ، وشمس الدين الخفريّ الذي كان معاصرًا لكوبرنيك والذي تحلّى بمقدرة رياضيّة قلّ وجودها في أعمال الذين أتوا قبل القرن السابع عشر.

ويلفت النظر أخيرًا في دراسة البروفسور صليبا موقفه من عصر الانحطاط المزعوم، ولم نسمع أنّ أحدًا سبقه إليه. فهو يرى أنّه لا ينبغي نعت هذا العصر بعصر الانحطاط، بل «عصر خسارة السبق»، فبيّن أنّ العرب لم ينحطّوا وعلومهم لم تتقهقر، بل إنّ الغرب سبقهم هم وسواهم من الشعوب الشرقيّة الأخرى لمّا تمّ له اكتشاف أميركا على يد كولومبس، فتدفّقت الثروات على أوروبّا وراكب الثروة ازدهار الاقتصاد والرغبة في توسيع دائرة الاستكشافات، ممّا ولّد الاستعمار الذي أدّى بدوره إلى إعاقة مسيرة شعوب العالم الذي أصبح العالم الثالث. وبالتالي، إن أريد للعرب أن يعوّضوا خسارتهم السبق ويلحقوا بالركب، فما عليهم إلّا إيجاد المناخات الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة الملائمة. ولا علاقة للدين بما صوّره بعض المتخرّصين من أنّه تخلّف عندهم. فنعمّ القول ونعمّ التفاؤل بالمستقبل.

لا يسعنا في الختام إلّا الثناء كلّ الثناء على أطروحات الأستاذ صليبا، وإن لنا من اعتراضات فهي شكليّة متعلّقة بالفهرس في آخر الكتاب، فيا ليت المؤلّف جعله قسمين فميّز بين الأعلام والمفاهيم، غير دامج هذه بتلك. كما أنّنا نستغرب إصراره على تسمية صاحب الفهرست بالنديم، وقد طالما قرأناه «ابنُ النديم»، ولم نجد أثرًا لسوى الصيغة هذه. وأخيرًا كنّا نتمنّى لو لم يكتف الدكتور صليبا لدعم أطروحته، بمثل علم الفلك، وأتى، وإن بشيء من الإيجاز، على ما ابتدعه العرب في العلوم الأخرى كالطبّ أو الصيدلة.

أ. كميل حشيمه

شمال لبنان في القرن السادس عشر
جوانب من الحضارة المادّيّة
تأليف الدكتور عصام كمال خليفة
بيروت، ١٩٩٩، ١٩٦ صفحة

لقد عوّدنا الدكتور عصام خليفة، أحد أساتذة التاريخ في الجامعة اللبنانيّة، الغوص على مكنونات تاريخ لبنان بشغف وجدارة، وبولوج مداخل مبتكرة قلّما سبقه إليها أحد. فمن الوسائل التي ركّز عليها باستمرار الانكبابُ على درس المحفوظات، لا سيّما الأرشيف العثمانيّ الغنيّ جدًّا بالوثائق، وقد عرّفت مجلّة المشرق في السنوات الأخيرة، عددًا من كتبه، مثنيةً على أسلوبها ومضمونها، منها: أبحاث في تاريخ شماليّ لبنان في العهد العثمانيّ، ١٩٩٥ (المشرق ١٩٩٥، ص ٤٨٧-٤٨٨)، ولبنان في أرشيف إسطنبول، ١٩٩٦

(المشرق ١٩٩٦، ص ٥٠٥-٥٠٧)، وشخصيّات بارزة من تاريخ لبنان المعاصر، ١٩٩٧ (المشرق ١٩٩٧، ص ٥٥٢).

والكتاب الذي نحن بصدده اليوم لم يشذّ عن قاعدة ما سلف، فهو يستند إلى الأرشيف العثماني المحفوظ في رئاسة الوزراء بإسطنبول، لا سيّما إلى الفاتر دفتري رقم ٥١٣ الذي يعود إلى العام ١٥٧١ ميلاديّ. وهو يتناول، كما يدلّ عليه عنوانه، «جوانب من الحضارة المادّيّة» في شمال لبنان، أي إنتاج القمح والفواكه، والزيتون ومعاصره، والعنب ومعاصر الكرمة، ودواليب الحرير، مفردًا لكلّ من الفروع هذه بابًا خاصًّا، واصفًا كمّيّات الضرائب المتعلّقة بها.

لقد اختار المصنّف أن يقلّل من الحديث والتعليق، ويكثر من الجداول والأرقام، وطريقته هذه، وإن بدت جافّة إلى حدّ ما، إلّا أنّها توفّر الموضوعيّة العلميّة والوضوح.

بقي أن نأسف على أنّ الوضوح هذا الذي نجلّى مسترًا في العروض، لم يكن دومًا من سمات الصور الفوتوغرافيّة التي جاءت طباعةُ بعضها سقيمة (خاصّةً ص ٨٨، ٩٤، ١٧٢).

أ. كميل حشيمه

Le Liban dans les écrits des anciens
par le Frère Ildefonse Sarkis
Beyrouth, 1998, 392 pages, grand format, en couleurs

لبنان في كتابات الأقدمين
تأليف الأخ إلدفونس سركيس

هذا الكتاب المهمّ الذي وضعه الأخ إلدفونس سركيس، من إخوة المدارس المسيحيّة، والمعروف باهتمامه بتاريخ لبنان القديم، هو حصاد أيّام طويلة غاص فيها المؤلّف على نصوص الأقدمين فاستطاع أن يجني الكثير من اللآلئ الكريمة المخبّأة في ضيّات المخطوطات التي غمرها النسيان والغبار.

في القسم الأوّل، المختصّ بالمؤلّفات الشرقيّة، يقوم الكتاب بجولةٍ في النصوص الفرعونيّة ونصوص ما بين النهرين وأوغاريت وفينيقيا والكتاب المقدّس في عهده القديم. فالنصوص المصريّة ذات النشأة الفرعونيّة، تكوّن فكرة عامّة عن الوضع اللبنانيّ وعلاقات جبيل بمصر، وعن أهمّيّة مدن الساحل الفينيقيّ وغناها. أمّا النصوص الآشوريّة التي من بين النهرين، فإنّها تتحدّث خصوصًا عن الوضع السياسيّ في المدن اللبنانيّة وعن السيطرة عليها وعن خرابها ونزع استقلالها، وهذا يعني أنّ تلك المدن كصيدا وصور كانت غنيّة بثقافتها ومالها، وقد دافعت الدفاع المستميت عن حقّها في الحياة. أمّا نصوص أوغاريت فإنّها تشدّد على المَلَكيّة وسيلةً أساسيّة لتأمين الازدهار واستقلال المدن المحصّنة. وفي ما يتعلّق بالنصوص الفينيقيّة فإنّها تتحدّث في غالبيّتها عن الانتشار الفينيقيّ في العالم، خصوصًا على شواطئ البحر الأبيض المتوسّط، في حين أنّ نصوص الكتاب المقدّس تفرّد

للواقع اللبنانيّ صفحات حميلة لها أبعاد رمزيّة دينيّة معروفة.

أمّا القسم الثاني من عمل الأخ إندفونس فهو يجمع نصوصًا من التراث اللغويّ اليونانيّ قبل المسيح وبعده. فالشاعر الفينيقيّ له حضوره في تلك الثقافة العالميّة، حيث إنّ الشعراء والجغرافيّين والمؤرّخين بالغوا في الحديث عن لبنان. النصوص المعروفة وغير المعروفة تتوالى وهي من كتابة هوميروس وأوريبيدس وحتّون وهيرودوتس وأرسطو وثيوفريطس وديودورس وفلافيوس يوسيفس وسترابون وأوسابيوس... وكثير من هؤلاء هم من المدن الفينيقيّة، من أمثال مناندر وفيلوستراس وزينون...

أمّا القسم الثالث فقد حشد نصوص من التراث اللاتينيّ جلّها من فرجيليوس وبومپيوس وبلينس وأوفيديوس... وهذه النصوص لها طابع تاريخيّ تمتّ إلى الحقبة التي كان الرومان فيها أسياد منطقة الشرق الأدنى.

وما يميّز هذا الكتاب هو نشر نصوصه في قالب أنيق وضمن الزخارف والرسوم الملوّنة. وقد أتبع المؤلّف النصوص بتعاليق علّها جعلها بحرف مختلف عن نصوص المؤلّفين.

والواضح في هذه النصوص جميعها أنّها لا تتحدّث مباشرة عن لبنان إلّا نادرًا، في حين أنّ التعابير الواردة تشير إلى فينيقيا أو إلى جبل لبنان، خصوصًا بعد المسيح. وثمّة بعض الأخطاء المطبعيّة يؤسف عليها.

ومع ذلك، يبقى هذا الكتاب، وإن كان بالفرنسيّة، مرجعًا أساسيًّا لوصف الواقع اللبنانيّ، ولإعادة كتابة تاريخ لبنان بالوثائق والنصوص القديمة، فيظهر لبنان بالمظهر التاريخيّ الحضاريّ المشارك في الحضارات الإنسانيّة كافّة: الثقافيّة والروحيّة والاجتماعيّة...

أ. سليم دكّاش

١ – رمال في الهواء. حكايات وذكريات

تأليف طانر (فيكتور) كالوس

لا م.، ١٩٩٦، مجلّدان، ٣٠٨ + ٢٨٠ صفحة

٢ – ومضات من تاريخ

تأليف طانر فيكتور كالوس

لا م. لات (١٩٩٧؟)، ٣٤٤ صفحة

٣ – غلال السنابل

تأليف فكتور (طانر) كالوس

دار الشرق العربيّ، بيروت وحلب، ١٩٩٧، مجلّدان، ٤٠٠ + ٣٨٢ صفحة

في العام ١٩٦٤ انتقل فكتور كالوس - ويُعرف أيضًا بحسب صيغة اسمه العربية، طانيوس - من حلب إلى دمشق، بعد أن عمل في الشهباء، مسقط رأسه، صحافيًا لامعًا نحوًا من سبعين، طوال نحو ربع قرن. وقد بدا عامئذٍ أنّه طُلّق حبّ الأوّل، على الرغم من أنّه ظلّ يتابع سياسة بلاده وأحداثها عن كثب سحابة تلك المدّة. وإذا به، بعد مرور ربع قرن ثانٍ من حياته، يدفعه الحنين إلى معاشرة القلم ثانية، فيصدر في مدّة وجيزة خمسة مجلّدات أرادها خزانة حافلة تحفظ أجمل ما اختلج في ذاكرته، وأهمّ ما صدر له مورّخًا على صفحات صحفه. ذلك بأنّه زاول منذ تخرّجه من المدرسة رسالة الصحافة في جريدة الأهالي. وتولّى مبامّ أمين سرّ التحرير في صحيفة التقدّم لصاحبها الذائع الصيت شكري كنبدر. وفي العام ١٩٤٣ اختارته القيادة العامّة في الجيش البريطانيّ التاسع مراقبًا للصحف العربيّة والسوريّة في حلب، وظلّ في مهمّته هذه حتّى ١٩٤٦. وفي تشرين الثاني من ١٩٤٩، أصدر جريدة صوت التقدّم، ثمّ رأس في العام ١٩٥٢ تحرير جريدة الجمهوريّة لصاحبها فيكتور كورنلي، وما تمّ أن انطلق بجريدته السنابل التي عاشت من ١٩٥٤ إلى ١٩٦٣. وكانت قد تحوّلت في نهاية حياتها إلى صحيفة اسميا الناس حين أمّمت الصحافة في سورية...

الكتاب الأوّل، رمال في الهواء، سجّل «حكايا» وذكريات جرت بين ١٩٤٠ و١٩٥٨. ولكنّ كالوس لم يُردِها مذكّرات بالمعنى المعروف، فالمذكّرات، على حدّ ما قال، «تُكتب استنادًا إلى أوراق سُجّلت فيها مواقف عامّة أو خاصّة يعود إليها صاحبها أو كاتبها ليُنعشها ويسكبها في مذكّرات. وكثيرًا ما يحتاج كاتبها إلى مصادر ومراجع ليوثّق ما رواه أو يرويه. أمّا هذه الكلمات فهي من ذاكرتي فقط، قذفتها فأشعلتْ نورًا أضاء لي سطورًا أروبيا» (ج ١، ص ٢٣). ومَن كان هذا أسلوبه، تميّز عمله بالعفويّة حتمًا، وقد برع صاحب الكتاب بسرد الأحداث من دون تكلّف، فجاءت شهاداته صادقة، واقعيّة، تتحاشى قدرَ الإمكان إصدار الأحكام، وإن هي فعلت فبخَفَر ولباقة. والإنشاء نفسه لبق رشيق ممتع، فيه أحيانًا مسحة من الفكاهة أو السخريّة خفيفة الظلّ (أطلب، على سبيل المثال، ج ١، ص ١٦٢-١٦٤، كيف انتهى الأمر ببعض مَن أراد، أيّام الاستقلال، «حرق الثقافة الفرنسيّة»، إلى طلب اللجوء السياسيّ إلى... فرنسا!). أضف إلى ذلك ما زخر به الكتاب من معلومات سواء التي تمتّ إلى الأحداث العامّة، أو التي تختصّ بالأفراد، ممّا يوفّر للمطالع والباحث مادّة غنيّة للتأريخ. أطلب مثلًا: وصف شخصيّة الوزير عزّة صقّال (٢: ١٤٨-١٥٠)، أو اللقاء المسكونيّ الذي تمّ بهمّة الكاتب، بين البطريرك إلياس معوّض والكردينال فيلب (٢: ٢٦١-٢٦٥)، أو «نبوءة» المناضل الأرمنيّ هراج بابازيان حول هبوط إمبراطوريّة الاتّحاد السوفياتيّ ونيل أرمينيا استقلالها (٢: ٢١١-٢١٤)).

إلّا أنّ ركوب قطار الذكريات من دون اللجوء إلى صرامة المنهجيّة في كتابة المذكّرات، له محاذيره، وقد تسبّب ذلك بوقوع الكاتب ببعض الهفوات التي كان بالإمكان تحاشيها. فالذاكرة خؤون، وتختلط الأمور مع تقدّم السنين. فقال الكاتب، على سبيل المثال، إنّ الجامعة اليسوعيّة أُمّسّت في بيروت قبل الجامعة الأميركيّة (١: ٧١)، في حين العكس هو الصحيح. وقال في الصفحة نفسها، على يار الجميّل ما ينطبق على أخيه غابريال،

والعكس بالعكس. كذلك كرّر بعض الأخبار في أماكن مختلفة (كلامه على لواء الإسكندرونة في (ج ١: ص ٤٩)، أعيد في (ص ٧٢-٧٤)؛ خبر وقوف السفير إيسبذورس نيّال في وجه الحاكم الإنكليزي مكرّر في (ج ١: ٩١-٩٥) و(ج ٢: ٩٣-٩٤)؛ سرد «نبوءة» هراج بابازيان المذكورة آنفًا تكرّر في (١: ٢٠٧-٢١٠) و(٢: ١٢٥-١٢٨)، إلخ...). ومن مزالق أسلوب التذكّر بدون انضباط، إقحام أمورٍ تخرج عن الموضوع أحيانًا. ففي حين خُصّص الكتاب بالأحداث التي جرت بين ١٩٤٠ و١٩٥٨، نرى أنّ ازدحام الأحداث في ذاكرة المؤلّف دفعه إلى إفراد فصل لخبر اللقاء بين البطريرك معوّض والكردينال فيليب، علمًا أنّ اللقاء هذا تمّ في العام... ١٩٧٥!

إلّا أنّ هذه الهفوات لا تقلّل من قيمة الكتاب، فهو مرجع ثمين. بل ثمين جدًّا، لكلّ مَن يبغي كتابة تاريخ سورية الحديثة.

في الكتاب الثاني، ومضات من تاريخ، اتّبع كالوس أسلوبًا مختلفًا، فلم يدوّن ذكريات، بل عاد إلى ما كتبه سابقًا في صحفه، فجمع منه متفرّقات ممّا يمتّ إلى السنوات ١٩٥٠ و١٩٥١ و١٩٥٢ (خلافًا لما ورد خطأً على الغلاف من أنّ الأعوام هي ١٩٤٨ إلى ١٩٥٠). وحسنًا فعل إذ إنّه سهّل بعمله هذا الرجوع إلى زبدة ما ورد في جرائد يصعب الحصول عليها اليوم. والموضوعات التي عالجها متنوّعة، بين سياسيّة واجتماعيّة وثقافيّة ودينيّة واقتصاديّة، وجميعها تنمّ على رؤية واضحة وتحاليل ثاقبة ومواقف جريئة شجاعة مسؤولة.

أمّا الكتاب الثالث، غلال النايل، فقد أفرده كالوس للسنوات ١٩٥٤ حتّى ١٩٦٢، مستعيدًا أهمّ ما نشره على صفحات جريدته النايل في المدّة المذكورة. وقد آثر اتّباع أسلوب الاسترجاع هذا على إعادة الكتابة، رغبةً منه في توفير المادّة خامًا ليتاح للقرّاء الجيل الجديد المقارنة بين ما يختبره اليوم وما خبره السلف «ليخرج بالحصول التي يريدها لنفسه» (ج ١: ص ٦). وهذا لعمري موقف لا غبار عليه. والغبار الوحيد هو بعض الهفوات التاريخيّة التي تسرّبت هنا وهناك، من مثل القول (ج ١: ٣٤٥) إنّ الضابط فؤاد لحّود الذي تعاطف مع الحزب القومي السوريّ كان لواءً، في حين أنّه لم يتجاوز رتبة العقيد؛ أو بعض الاضطراب في عرض المواد: فعلى سبيل المثال أورد المصنّف في الجزء الأوّل الخاصّ بالسنوات ١٩٥٤-١٩٥٨، فصولًا مزرّخة بين ١٩٥٩ و١٩٦٢. فيا ليته كان صارمًا في ترتيبه.

مهما يكن، فلا يسعنا إلّا أن نكرّر في الختام ما سبق أن قلناه، مثنين على ما أنجزه فكتور كالوس بكتبه الثلاثة هذه، آملين أن يظلّ قلمه مشحوذًا لمزيد من الإبداع والعطاء.

أ. كميل حشيمه

مجتمع يسوع - تقاليده وعاداته

تأليف الأب سامي حلّاق اليسوعيّ

منشورات دار المشرق، ١٩٩٩، بيروت، ١٩١ صفحة

حين يقرأ إنسان عصرنا نصوص العهد الجديد، يصادف أسماء أشخاص أو فئات اجتماعيّة، وقد لا يعرف إلى ما تشير تلك الأسماء. كما يلاحظ أنّ الحياة اليوميّة في أيّام يسوع كانت تقوم على عادات وتقاليد لم تعد معروفة في أيّامنا، كأسلوب الاحتفال بالزفاف وأصول الوضوء وشريعة السبت وطرق المحاكمة والإعدام، بغضّ النظر عن العملات المتداولة كالدينار والدرهم، والأدوات المستعملة كالسراج والمكيال. ومن جهة أخرى، يلاحظ القارئ أنّ النصوص تشير أحيانًا إلى أمور تاريخيّة بدون أن تشرحها، لأنّها كانت معروفة في ذلك الزمن، كتقسيم أراضي فلسطين السياسيّ ونظام الضرائب وأقسام الهيكل...

لذلك رأى المؤلّف أن يتقدّم إلى القارئ العربيّ عرضًا مفصّلًا ومبسّطًا في آن واحد عن حياة الناس بفلسطين في القرن الأوّل الميلاديّ: الطبيعة التي كانوا يعيشون فيها، والجماعات الإثنيّة المقيمة على الأرض الواحدة، وطرق المأكل والمشرب والعمل والتجارة والعبادة إلخ. فمن خلال استيعاب المعلومات التاريخيّة تلك، يستطيع القارئ أن يفهم تعاليم يسوع كما لو كان يعيش في أيّامه. وبالتالي، يتّجه إلى كلمات وعبارات قرأها مرّاتٍ كثيرة في الأناجيل بدون أن يلحظ ما تشير إليه.

ويقول المؤلّف إنّه حرص، في الآن نفسه، على التزام الأمانة العلميّة، وتحقّق من مصداقيّة جميع الأخبار التي أوردها، معتمدًا على أحدث الأبحاث الكتابيّة والتاريخيّة وآخر الاكتشافات الأثريّة، وسرّد في صيغة الافتراض ما تدور عليه الشكوك.

وفي الختام، نأمل، مع المؤلّف، أن يجد القارئ في صفحات هذا الكتاب متعة وفائدة، وأن تمكّنه هذه القراءة من فهم حياة يسوع المسيح وتعاليمه على وجه أفضل.

أ. صبحي حموي

الموارنة

تاريخ وثوابت

تأليف أنطوان خوري حرب

منشورات «التراث الماروني» (الرابطة المارونيّة)، بيروت، ١٩٩٨، ١٦٨ صفحة، تجليد فنّيّ

عُرف الأستاذ أنطوان خوري حرب بانكبابه على تاريخ لبنان وتراثه وكلّ ما يبرز وجهه الحضاريّ. وأضحت مؤلّفاته مراجع قيّمة يرتاح إليها المطالعون على اختلاف درجات ثقافتهم. فالطالب يجد فيها مادّةً خصبة، قريبة المنال، مشوّقة بعرضها الواضح؛ والباحث المتعمّق يفيد خاصّةً من وفرة ما تجمعه، ومن شمول التوليفات التي يقدّمها المصنّف، إلى

حمال النسور وأناقة الإخراج. ومنّا صدر للأستاذ خوري حرب في مجال اختصاصه اسم لبنان عبر العصور (١٩٧٩)، وأصول الشعب اللبناني (١٩٨٤)، وجذور المسيحيّة في لبنان (١٩٨٤)، وتاريخ الانتشار اللبناني (١٩٨٤)، والكتابة، من التصويرية إلى أبجديّة جبيل (١٩٩٠)، والديانات اللبنانيّة القديمة (١٩٩٢)، والمعالم الأثريّة في الجنوب اللبناني (١٩٩٤). وقد جاء الكتاب الأخير، الموارنة، تاريخ وثوابت، على غرار ما سبقه، دراسةً يُركن إليها بثقة، لا سيّما أنّها استندت إلى نتاج عشرات المؤرّخين الموارنة وغير الموارنة، وتحفةً تبهج الناظرين بوثائقها العديدة القيّمة وخرائطها وصُوَرها الرائعة المتنوّعة. وسقت الطبعة العربيّة هذه طبعات فرنسيّة وانكليزيّة وإسبانيّة وبرتغاليّة.

ويلفت الانتباه، في كتاب أنطوان خوري حرب أمران أساسيّان:

١. الترابط الوثيق لدى الموارنة بين الشعب والكنيسة. فلا الأوّل يُفهم على حقيقته بدون الثانية، ولا تتجلّى صورة هذه الكنيسة بتمامها من دون ركيزة شعبها. ومن اختلاط الموارنة شعبًا بكنيستهم وغرفهم المستمرّ من ينابيع إيمانهم، تكوّن تاريخهم التليد وتراثهم وثقافتهم وما في جبالهم من قداسة وانفتاح. وكم من مرّة تبنّت الكنيسة المارونيّة شؤون شعبها، خاصّة في الأزمات وأيّام الاضطهادات. من ذلك، على سبيل المثال، لا الحصر، ما فعله الرهبان إبّان مجاعة الحرب العالميّة الأولى فرهنت جمعيّتهم «السلفيّة بالبلدية أو الجبليّة، سنة ١٩١٦، وكان يرأسها الأب إغناطيوس داغر، جميع ممتلكاتها إلى الحكومة الفرنسيّة بواسطة حاكم جزيرة أرواد الكابيتين ترابو، مقابل مليون فرنك ذهبيّ، وتمّ ذلك بموافقة القصادة الرسوليّة والبطريركيّة المارونيّة. ووقّع عن الرهبانيّة المدبّر الأوّل الأب مرتينوس طربيه وعن البطريركيّة الخوري بولس العقل» (ص ١٤٤)، وقد عرّض الكاهن المذكور - الذي أصبح مطرانًا في ما بعد - حياته للخطر هو ونفر من أمثاله، وحُكم عليه بالشنق غيابيًّا بسبب ما بذله من جهود لتأمين المساعدات إلى الموارنة المنكوبين.

٢. إرتباط الشعب الماروني بسلطات كنيسته المحلّيّة لم يمنعه من ارتباطه، على مدًى أوسع، بالكنيسة الجامعة، الرومانيّة التي بقي أمينًا لها طوال العصور، وغير الرومانيّة، إذ كان وما زال منفتحًا على جميع الكنائس، ومن ورائها، على جميع الأديان والثقافات. صحيح أنّه متشبّث بأرضه بقوّة وعناد، متمسّك بحرّيّته وبحرّيّة مَن يلوذ به، ولكنّه يعرف أيضًا أن يخرج من أرضه إلى رحاب الدنيا، ويخرج من وعورة جباله التي لم ينعزل فيها قطّ، بل كانت له منطلقًا لملاقاة الغرب والعرب على حدّ سواء، ولاستساغة ثقافة كلّ منهما. وإنّ في تلك المزايا التي تحلّى بها الموارنة على مدى أجيال وأجيال، عبرةً لأبناء اليوم، فعسى يسيرون دومًا على خطى السلف فيستحقّوا فعلًا أن «يُعطوا مجد لبنان» وينشروه حولهم بسخاء.

الأب كميل حشيمه

دير مار أشعيا، مسيرة زهد ورسالة

تأليف الأب أشعيا النكّاري

منشورات الرهبانية الأنطونية، أنطلياس (لبنان)، ١٩٩٨، ٣٢٨ ص، تجليد فنّي

تستعدّ الرهبانيّة الأنطونيّة المارونيّة للاحتفال بمرور ثلثمائة سنة على تأسيسها في العام ١٧٠٠، وهي تقوم لذلك بالعودة إلى الجذور على جميع الأصعدة، منها نشر تراثها الروحيّ والفكريّ. وقد أعدّ حضرة الأب أشعيا النكّاري في هذا الإطار منذ سنتين مخطوطًا حول سيرة الأنامي عثمانوئيل عبيد جئنا على ذكره في مكان لاحق من هذا العدد (ص٥٤٢)، وهو يتابع الآن فيحفنا بكتابه حول دير مار أشعيا، الدير الأمّ في رهبانيّته، صاحب التاريخ العريق المتألّق.

والمعروف عن شفيع الدير هذا أنّه غير أشعيا النبيّ، بل راهب من حلب عاش متنسّكًا وتوفّي العامَ ٤٤٠م، ورفاته الآن في دير القرنتين بطور عبدين. أمّا الدير فقد بُني حوالى القرن السابع الميلاديّ على أنقاض هيكل فينيقيّ في أعلى قمّة تلّة عرمتا، قرب بلدة برمّانا (قضاء المتن - لبنان) وجدّده المعلّمان (البطريرك لاحقًا) جبرائيل البلوزاني العامَ ١٦٩٨.

فقد عالج الأبُ النكّاري موضوعه معالجة شاملة متكاملة، مبتدئًا بسيرة أشعيا، متنقّلا إلى رسم إطار نشأة الدير من الناحية التاريخيّة قديمًا، فإلى انطلاقته مركزًا لتأسيس الرهبان الأنطونيّين مع نبذ عن المؤسّسين ووصف مشفوع بالخرائط لبناء الدير، فإلى عرض لروحانيّة الرهبانيّة الأنطونيّة وقوانينها. ثمّ أفرد قسمًا للحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة في الدير، وقسمًا آخر لدور هذا الصرح على الصعيدين التربويّ والروحيّ، إذ كانت فيه مدرسة إكليريكيّة وما زالت تقوم في أرجائه دار الابتداء. وشفع المؤلّف دراسته الموثّقة بعدد من الملاحق والإحصاءات البالغة الإفادة، منها لوائح مكمّلة بأسماء الرؤساء الذين تعاقبوا على الدير، والرؤساء العامّين الذين جعلوه مقرًّا لهم، والمعتمدين الذين قبلوا فيه سرّ التكهين، والمبتدئين الذين انتسبوا فيه إلى الرهبانيّة. ومن المعلومات المفيدة التي توفّرها هذه اللوائح آنئذ، إذا نظرنا إلى أرقام الذين انخرطوا في الرهبانيّة منذ مطلع القرن العشرين والذين تخلّفوا لاحقًا عن دعوتهم، وجدنا أنّ نسبة الثبات تتعدّى الأربعين في المائة، مع بعض التدنّي في السنوات ما بين ١٩٥٠ و١٩٧٨ (وهذا ما يتوافق مع ما حصل في الكنيسة جمعاء آنذاك)، ونهوض ملحوظ في السنوات العشرين الأخيرة، إذ انخفضت نسبة التخلّف وزاد في الوقت نفسه عدد المتمهّنين، ممّا يشير إلى نهضة رهبانيّة أكيدة.

والكتاب أنيق الإخراج، مزوّد عددًا من الوثائق الخطّيّة القديمة وفهرسًا أبجديًّا، وصورًا شمسيّة عديدة وجميلة. كما أنّ لائحة المصادر في آخره واسعة، تشتمل على كثير من المؤلّفات العربيّة والأجنبيّة. ولكن شاب ثبت المراجع الأجنبيّة بعض الاضطراب في الكتابة، فكثيرًا ما جاءت الأحرف الكبيرة (majuscules) مكان الصغيرة (minuscules)، والعكس بالعكس، وتارةً يُقدَّم اسم العائلة على اسم الشخص وطورًا آخر يتمّ العكس. وكان من الأفضل أن تُكتب عناوين الكتب بحرف يختلف عن أسماء مؤلّفيها، كما هي

العادة المتّبعة في المؤلّفات العلميّة اليوم. وهذه الرغبة ترمي إلى المؤلّف ليحتفظها أيضًا في ذكر المراجع العربيّة، خاصّة في الحواشي، حيث الاضطراب مستمرّ، فتارة تُكتب العناوين بين معقوفين، وتارة أخرى بدون أيّ تمييز عن باقي النصّ. ولعلّه لم يُتح لحضرته مراجعة مسوّدات كتابه لبعده عن مكان الطباعة، إذ يعيش ويعمل الآن في الخرطوم (السودان) حيث أوفدته رهبانيّته مشكورة لتدريس علم اللاهوت في جامعتها الكاثوليكيّة.

ملاحظة أخيرة: أورد المؤلّف في (ص ٢٠ حاشية ٢)، استنادًا إلى طبعة المنجد الصادرة في ١٩٨٦، أنّ سكّان حلب هم نحو ٥٥٠,٠٠٠، ويا ليته استعان بآخر طبعات هذا المعجم، إذن لوجد، بحسب الطبعة السابعة والثلاثين (١٩٩٨) أنّ في حلب اليوم أكثر من ١,٣٠٠,٠٠٠ من السكّان!

أ. ك. حشيمه

الطريق المريميّ
تأليف الأب جرجس خوري البوهي
المرشد العامّ سابقًا لرابطة الأخويّات في لبنان
بيروت، ٥٤٣ صفحة

«الطريق المريميّ» هو الحدث التاريخيّ الرائع الذي تمّ فيه التطواف بتمثال العذراء مريم طيلة خمسة أشهر في كلّ أنحاء لبنان، العامّ ١٩٥٤، لمناسبة اليوبيل المئويّ لإعلان عقيدة الحبل بمريم بلا دنس.

إنّ هذه الذكريات التي استعادها المؤلّف بعد مرور أربع وأربعين سنة على التطواف سيجد فيها الكثيرون صور قراهم ورعاياهم ووجوه آبائهم وأمّهاتهم وأقاربهم. إنّها وثائق ثمينة عن حدث مرموق حرّك لبنان بكامله. فمن شأنها أن تحثّ البنين والبنات على السير في خطى مَن سبقوهم في عبادة الله وتكريم مريم البتول.

ومع أنّ الظروف قد حالت في حينه دون نشر جميع هذه الذكريات، فلا شكّ في أنّها أخذت، مع تقادم الزمن، قيمة تاريخيّة ثمينة.

ونقول في الختام إنّ هذا المؤلّف، الذي يضاف إلى الكتاب القيّم والمرجع المرسوعة الذي وضعه الأب جوزف غودار والأب هنري جلاييز اليسوعيّان بالفرنسيّة تحت عنوان *La Sainte Vierge au Liban* (مريم العذراء في لبنان)، يُثبت بدوره أن مجد لبنان لا يقوم على تاريخه العريق وحسب، بل يُطيّب أيضًا على السيّدة العذراء التي تتلو الليتورجية في مديحها: «مجد لبنان أُعطي لها».

أ. ص. حموي

الأبّاتي عمّانوئيل عيد البعبداتي الأنطوني (١٨٤٢-١٩٣٢)

تأليف الأب يوسف أبي نادر الأنطوني

أهداه وقدّم له ونشره الأب أشعيا النعّاري الأنطوني

منشورات الرهبانيّة الأنطونيّة، أنطلياس (لبنان)، ١٩٩٧، ٢٠٠ صفحة

كان الأبّاتي عمّانوئيل عيد، ابن بلدة بعبدات في لبنان، رجلًا مميّزًا تبوّأ أرفع المناصب في رهبانيّته الأنطونيّة، حتّى عدا رئيسها العامّ مدّة اثنتي عشرة سنة. وخدم العلم فأسّس المدارس، وانصرف إلى التأليف والترجمة مخلّفًا ما يربو على عشرة مصنّفات، وسما بفضائل إنجيليّة راسخة، وعاش بين الناس سيرة التقوى البالغة وتوفّي برائحة القداسة.

وقد عثر حضرة الأب أشعيا النعّاري على مخطوط بيد الأب يوسف أبي نادر يروي سيرة الأبّاتي عيد، ويعود إلى العام ١٩٣٥، فأحبّ أن ينشره، ونعمّ الفعل. فقدّم له، وشفعه بالحواشي والشروح وذيّله بفهرستين، أحدهما لأسماء العَلَم والآخر لأسماء الأمكنة. ولا شكّ في أنّ هذا الكتاب، المليء بالفوائد، والممتع القراءة لسلاسة أسلوبه ووضوح عرضه، سيسدي خدمة جليلة لمعرفة تاريخ الرهبانيّات في شرقنا. فالشكر للناشر المحقّق، وأملنا أنّه سيعمل بوحي ما ألمح إليه في ختام مقدّمته (ص ١٧): «هناك رهبان كثيرون لا يزالون بحاجة إلى مثل هذا الكتاب حتّى يحتلّوا مكانهم في ذاكرة إخوتهم على الأقلّ».

أ. كميل حشيمه

ألفرد بخّاش. السيرة المتميّزة لفنّان رائد

تأليف الدكتور فاروق سعد

دار المراد، بيروت، ١٩٩٨، ٢٠٨ صفحة، تجليد فنّي

يبدو أنّ دار المراد راحت تختصّ بالكتب الأنيقة الإخراج، بل الأنيقة جدًّا، فلا تمرّ مدّة وجيزة إلّا وتطلّ علينا بمصنّفات لُحْمَتُها جميل المظهر وسداها سمين الجوهر. وآخر ما عرفنا لها في هذا الباب كتاب ألفرد بخّاش...، وما أصدق ما جاء عنوانه، فالمؤلّف ترجمة حياة فنّان رائد من كبار الفنّانين في بلادنا كاد أن يتساه مثقّفونا على الرغم من أنّه لم تمضِ على وفاته إلّا خمس سنوات. ويعود الفضل إلى أسرة العبقريّ هذا وإلى الدكتور فاروق سعد في إحياء ذكراه، وإبراز ما أنجزه في حياته المليئة بالعطاء.

ولد بخّاش في حلب العام ١٩٢١ وعمل فيها أوّلًا ثمّ في بيروت، يرسم ويصوّر وينحت ويصمّم الديكور والكتب، ويشارك في معارض عربيّة ودوليّة عديدة، وقد كُتب بـ«فنّان المرأة». إلى ذلك أنشأ في بيروت «كاليري بخّاش» ومارس التعليم في معهد الفنون الجميلة بالجامعة اللبنانيّة. وما يدهش في شخصيّته تعدّد مواهبه وتنوّعها من جهة، وسموّ فنّه من جهة ثانية، إذ تعجّ منحوتاته ورسومه، من وجوه ومناظر، بالحياة وعمق الأحاسيس وسحر الألوان.

أ. ك. ح.

Juan Manuel Abascal Palazón
Fidel Fita (1835-1918)
Su Legadso documental en la Real Academia de la Historia
Real Academia de la Historia, Madrid, 1998, 284 pages.

سيرة العلّامة اليسوعيّ الإسبانيّ فيدل فيتا وآثاره

فيدل فيتا بحّاثة ومؤرّخ إسبانيّ من مواليد أراغيس، مقاطعة برشلونة (١٨٣٥). دخل الرهبانيّة اليسوعيّة (١٨٥٠) وأتمّ دروسه العامّيّة في إسبانيا وبلجيكا وفرنسا. رُسِم كاهنًا العام ١٨٦٣. وُكلت إليه وظائف تعليميّة تابع في أثنائها أبحاثه في علم الآثار والكتابات الأثريّة. متضلّعٌ من اللغات القديمة، لا سيّما اللاتينيّة واليونانيّة والعبريّة ومن مختلف اللهجات الإسبانيّة. أتقن اللغات المعاصرة. إنتخب عضوًا في الأكاديميّة الملكيّة للتاريخ بمدريد، واستقرّ نهائيًا فيها ابتداءً من ١٩١٢ عندما تسلّم رئاسة المؤسّسة وظلّ في منصبه هذا حتّى وفاته (١٣/١/١٩١٨).

تميّز فيتا باتّساع معارفه وتوغّله المستمرّ في خزائن المحفوظات الإسبانيّة الرسميّة على أنواعها، مضيفًا إليها دفائن المحفوظات في الرهابا والمؤسّسات الكنسيّة لا سيّما الرهبانيّة منها، وجمع الكثير من النصوص النادرة، نشر بعضها، معلّقًا لها ومعلّقًا عليها. وقد بلغ عدد ما نشره ٤٤ كتابًا يضاف إليها ٩١١ مقالة ظهرت في المجلّات العلميّة بين ١٨٦٦ و١٩١٨. وشملت أبحاثه علم اللغات الإسبانيّة القديمة والكتابات المنقوشة على الحجر وتاريخ الأنظمة والقوانين والطقوس الكنسيّة، لا سيّما العائدة منها إلى العصور الوسيطة. ويجدر الانتباه إلى أنّه كان يتبادل الخدمات العلميّة مع المؤرّخين والباحثين المقيمين في المناطق النائية من البلاد، يمدّهم بالمعلومات التي يفتقرون إليها لقلّة المصادر والمكتبات في مقاطعاتهم، وهم بدورهم يبادلونه بالمثل إذا وُفّقوا إلى الوثائق النادرة. ولم تثنِه من النشاطات العلميّة المختلفة هذه عن الانصراف إلى جميع النشاطات الرسوليّة من وعظ وتعليم.

القسم الثاني من الكتاب يتضمّن جداول مفصّلة لمئات الوثائق التي جمعها الأب فيتا والتي جعلها، بموافقة القيّمين على الرهبانيّة اليسوعيّة في إسبانيا، وقف على الأكاديميّة الملكيّة للتاريخ في مدريد ليفيد منها الباحثون، منها الصور ورسوم الكتابات المنقوشة في الحجر، ثمّ دفاتر يومياته الشخصيّة في حقل التنقيب العلميّ، وإلى جانبها نصوص المواعظ الدينيّة، والملخّصات العلميّة التي ألقاها في المحافل العلميّة في ميادين الآثار والمنقوشات والسِّيَر الفرديّة والوثائق الرسميّة، أصليّةً أو منسوخة، وما وصلت إليه اليد من المخطوطات، والمراسلات، ومجموعة من النقود القديمة عثر عليها على مرّ السنين. واللافت أنّه قد علّق على قسم منها، موضحًا أو شارحًا أو محاولًا تفسير غوامضها، ممّا يجعل الكتاب مرجعًا قيّمًا للتاريخ.

وأمنيتنا أن تكثر عندنا، لصالح الباحثين والدارسين والقرّاء عامّة، الدراسات الغنيّة بالمصادر والمراجع، موسّعةً ومفصّلةً، فيعود عمل الفرد لفائدة الكثيرين.

الأب سامي خوري اليسوعيّ

قاموس الأقوال

شرقًا وغربًا - شعرًا ونثرًا

إعداد أنطون ب. قبقانر ومبشال مراد

دار المراد، بيروت - لبنان ١٩٩٨، ٧٨٠ صفحة، تجليد فنّي

أيمكنُ أن تبقى الأطرف المؤلّفة من الأقوال في العديد من اللغات حيّة، تتناقلها الألسن، وتحبّرها أقلام الشعراء والأدباء والكتّاب، ثم لم تحمل في نشأتها بذور الديمومة والاستمرار، أو سرّ البقاء والخلود؟ نعم، إنّ ما تختزنه الأقوال والأمثال، في شعرها ونثرها، وفي اللغات المتداولة قاطبةً، من حِكَم ومواعظ وخبرات شعوب في سرّائها وضرّائها، لخيرُ دليلٍ، وأشدّ عاملٍ لبقائها ناطقةً معبّرةً عن أحوال البشر في كلّ بيئةٍ ومجتمع، وفي أيّ عصرٍ من عصور التاريخ، سواء أوغل في القدم أم عايش الزمن الآتي.

بلفت انتباهنا في المجلّد الضخم الذي بين أيدينا غنى المادّة ووفرتها، إذ اجتهد المعدّان في جمعها من مصادر كثيرة ومتنوّعة. فبالإضافة إلى الأقوال المستقاة من المصادر الدينيّة: الكتاب المقدّس بعهديْه، والقرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف؛ أتحفنا القاموس بكلّ ما لذّ وطاب من أقوال الشعراء والأدباء والفلاسفة العرب في العصور كافّة. كما أدرجا روائع ما عُرِف عند الفلاسفة والأدباء في الحضارات القديمة كالهنديّة واليونانيّة والرومانيّة...، وما ذاع في اللغات الحيّة في القرون الماضية عند الفرنسيّين والإنكليز والأميركيّين والألمان وسواهم.

وفي مقدّمة القاموس التي جاءت في صفحتيْن، وكنّا نودّها أوسعَ تفصيلًا، نتوقّف على مسألة شموليّة الأقوال، بحيث نرى تضادّ الكلام وتضاربه في كثير من الأحيان في الموضوع الواحد، مثلًا (باب الصديق: ص ٣٣١-٣٣٥). فالصديق هو الرفيق، والكتوم، والغادر، والعدوّ، والمعين، والأمين، والحسود،... إلى ما هنالك من الصفات الحسنة والسيّئة في آن. ولئن ردّ المعدّان هذه الظاهرة في الأقوال إلى «تأثير البيئة على الفرد وعملها فيه»، فإنّنا نرى في شموليّة الأقوال وتضادّها أحيانًا كثيرةً، سببًا رئيسيًّا من أسباب بقائها حيّة معبّرة، لأنّها تمثّل الحياة وتصوّرها في جميع وجوهها ومظاهرها؛ الحياة التي تذخر ببذا الكمّ الهائل من أيّ شمولٍ ونقيضه، من الموقف وعكسه، من الأحاسيس والأماني والمخاوف والتطلّعات... تلك وخلافها.

وبا حبّذا لو فرّق المعدّان، في المقدّمة طبعًا، بين الأقوال السائرة، والأمثال، والحِكَم والمواعظ، فعرّفا، ولو باقتضاب، بكلّ فئةٍ على حدة، فعرفنا إذ ذاك أوجه الشبه والاختلاف بين هذه الفئات التي تكثُر فيها المؤلّفات. وهل الفرق بينها هو في شكل الكلام وصياغته، أم على مستوى مضمونه ومحتواه، أم قد يكون في الاثنين معًا؟

وحرصًا على عبقريّة اللغة العربيّة وسلامتها، ولكي يأتي العمل متقنًا لا تشوبه الشوائب، نستأذن المعدّيْن في إيراد بعض الملاحظات، على سبيل المثال لا الحصر.

أوّلًا: ليس سليمًا في العربيّة أن يأتي الشعر الموزون المقفّى على غير ما أرادت له

العرب. فإن تعذّر ورود الشطر الأوّل في النصف الأوّل من السطر والشطر الثاني في النصف الثاني من السطر، فمن الأجدى أن يرد البيت على سطرين متتالين، فيبدأ الشطر الثاني حيث يبدأ الشطر الأوّل، وينتهي حيث ينتهي أخوه. فدقّة الوزن والتفعيلات تقتضي دقّة في الشكل والكتابة. والأمثلة على ذلك عديدة ومنتشرة في أرجاء القاموس: أنظر: (الآثار - ص ٧-ع١، الأقة - أبو المثلّب الحنبلي - ص ٨ - ع١ - . . إلخ) فكيف، والحالة هذه، يمكن أن يميّز، غيرُ اللبيب طبعًا، التفريقَ من السطور.

ثانيًا: لو أُخذت قواعد اللغة العربيّة بعين الاعتبار في بعض الأحيان، لكان تجنّب المعدّان العديد من الأغلاط الإملائيّة النافرة من أمثال جعل همزة القطع حيث يقتضي وجود همزة الوصل، والعكس أحيانًا.

مثلًا: (الإحترام - الإحتقار - الإحتيال - ص ١٣ - ع١).

وهي كثيرة في استعمالها غير الصحيح في فهرس الموضوعات: (ص ٧٣٩-ع١ و٢).

ثالثًا: كم كان أدقّ توثيقًا وأوسع إفادةً لو وضع المعدّان إلى جانب أسماء الأعلام، في ذيل كلّ قول، جنسياتهم وتواريخ الولادة والوفاة إن توفّرت، كما اتّبعا ذلك إلى جانب التصاوير والصور. فكانا بذلك أغنيا القول لجهة عمره (الحقبة الذي قيل فيها)، ولجهة هويته - إن جاز التعبير - (جنسيّة مَن قاله أو قوميّته).

رابعًا: على أهمّيّة الحواشي وفائدتها في القاموس، نسألُ: أما كان أيسر لو وضعت في أسفل الصفحات؟ بحيث تأتي الحاشية تحت الكلام التي هي بصدده، فتوفّر على القارئ عناء التنقّل وضياع الوقت.

خامسًا: كنّا نودّ لو ميّز المعدّان في قائمة المراجع الواسعة الشاسعة:

أ - بين المصادر والمراجع، فجعلا كلَّ فئة على حِدَة توخّيًا للدقّة، وللتواعد المتّبعة في العودة إلى الأصول.

ب - أشكال الحروف المستعملة في كتابة أسماء المراجع، من أشكالها في كتابة اسم المؤلّف وسائر المعلومات. فيأتي التمييز موضحًا ومزيلًا اللبس والغموض، ومسهّلًا العودة والإفادة. بحيث تأتي مثلًا المراجع في اللغة العربيّة بالحرف الأسود (الغامق)، والمراجع في اللغة الأجنبيّة بالحرف المائل (italique). وليست هذه هي الطريقة الوحيدة المتّبعة، إذ ثمّة عدّة طرق أُخَر يمكن الإفادة منها.

إلى هذا فالقاموس جامع نافع، تستسيغه العامّة، وتتمثّله الخاصّة، وهو ثمرةٌ ناضجةٌ حان قطافها، من الثمار التي عوّدتنا الدار الناشرة انتظار موسمها، لما تمتاز به من جمالٍ ومنفعة وفرادة.

ريمون حرفوش

Choses senties
par Joseph Hechaimé
Beyrouth, 1998, 300 pages

أمور وشعور

بقلم جوزف أسعد حشيمه

بين المحاماة والأدب وشائج قربى وثيقة، فلا يندر، لا سيّما في لبنان، أن ينصرف القضاة والمحامون والمختصّون بالقانون على أنواعهم، إلى قرض الشعر أو التأليف في التاريخ والفلسفة والنقد الاجتماعيّ والخواطر الفلسفيّة. ولا عجب، فإنّهم، بحكم مهنتهم، يختلطون بالناس ومشاكلهم، ويشاهدون معاناتهم ويحسّون شؤونهم وشجونهم. والمحامي جوزف حشيمه ينتمي إلى هذه النخبة التي أمسكت بالعلوم القانونيّة من ساتر حواجبها، وشغفت إلى ذلك بالكتابة الأدبيّة الرفيعة. وقد سبق أن عرّفنا في مجلّتنا روايةً له مزينة بعنوان عبث القَدَر أو حبّ في بيروت (المشرق، ١٩٩٤، ص ٢٥٦-٢٥٧)، سبقها عدد من الكتب حول قضايا حقوقيّة، وأخلاقيّة وسياسيّة واجتماعيّة.

والآن يطلّ علينا هذا القانونيّ المتعدّد المواهب، بأثر له بالفرنسيّة، برهن فيه أنّه مَلَكَ ناصية لغة أهل باريس على نحو ما تتسلّح من العربيّة، بدقّة متناهية في التعابير، وأناقة ورشاقة في الأسلوب. أمّا موضوع الكتاب، فهو بالحقيقة موضوعات، أعني تأمّلات حول أمور متعدّدة تمتّ إلى صميم الحياة الاجتماعيّة والفكريّة والخلقيّة. فيدور الكلام على... الكلام، والحبّ والمحبّة، والفنّ، والسعادة، والمرارة، والشهرة، والشؤون العامّة، والشكّ، والإحباط، والكتابة، والنساء، والإيمان، والثروة والحقّ، والعدل، والزواج، والحُبّ، والحماقة، والأطبّاء، والسجون، والثورة، والأباطيل، والشيخوخة، والموت وغير ذلك بكثير. وما يلفت النظر عمق التحاليل النفسيّة بطلتها المؤلّف بإيجاز مكثّف يزيد من وقعه نفحةٌ من السخريّة اللاذعة، وشيء من التشاؤم لا سيّما في ما يتعلّق بالنساء!

لم نتمالك، ونحن نطالع هذا الكتاب، من الرجوع بالفكر إلى كتّاب فرنسيّين عظام جالوا في الميدان نفسه، من أمثال فرنسوا دو لاروش فوكُو La Rochefoucauld في القرن السابع عشر، وساشا غيتري Sacha Guitry في عصرنا الحاضر.

أ. ك. ح.

أخنوخ سابع الآباء
كتاب أخنوخ أو أخنوخ الأوّل، وأسرار أخنوخ أو أخنوخ الثاني

تأليف الخوري بولس الفغالي

سلسلة «على هامش الكتاب»، ٣، منشورات «الرابطة الكتابيّة»، بيروت، ١٩٩٩، ٢٦٤ صفحة

يأتي هذا الكتاب في سلسلة دراسات تتناول بعض الكتب المنحولة أو المكتومة، وبعض

الكتابات الأخرى التي اكتسبت قديمًا صفة دينيّة عبر رسميّة. دُوّن كتاب أخنوخ، أو بالأحرى «كتب» أخنوخ، بين القرن الثاني ق.م. ومطلع القرن المسيحيّ الأوّل، ويتضمّن إيحاءات نُسبت إلى أخنوخ (تك ٥/٢١-٢٤)، تدور على موضوعَيْن: بنية الكون وأصله وأبعاده، وأصل الشرّ والخطيئة وطبيعتهما ونتائجهما والديمونة الأخيرة. وقد جُمعت هذه الإيحاءات في كتابين، يتألّف الأوّل منهما (أخنوخ الأوّل) من خمسة أقسام. وتجدر الإشارة إلى أنّ هنالك نصًّا آراميًّا عن بعض كتب أخنوخ وُجد في قمران، وكتاب أخنوخ الثالث، الذي دوّن بالعبريّة بين القرنين الخامس والسادس ب.م.، ثم يتعرّض له المؤلّف في هذه الدراسة، ولربّما خصّه بدراسة لاحقة.

وفي ما يختصّ ببنية هذه الدراسة، فالمؤلّف استهلّ كتابه بمدخل عامّ، أتبعه بمقدّمات وجيزة مهّد فيها لأقسام كتب أخنوخ، فشرح مضمون كلّ قسم وشكله الأدبيّ، ثمّ قدّم ترجمة له وزوّدها حواشيَ توضيحيّة. غير أنّ المؤلّف لا يذكر المصادر أو المخطوطات التي بنى عليها ترجماته! ويبقى أن نشير، أخيرًا، إلى خاتمتَين تفتحان الطريق إلى مزيد من الدراسات المتعمّقة (ص ٢٠٦-٢١٢ و٢٥٨-٢٥٩)، ولا سيّما في ما يختصّ بالإطار الاجتماعيّ والدينيّ للجماعات التي استخدمت كتب أخنوخ، وتأثير هذه الكتب في التقليد المسيحيّ.

أ. صلاح أبو جوده

١ - في رحاب الكتاب - ٢: العهد الثاني
٢ - إنجيل متّى: الجماعة وملكوت الله - الجزء الثالث
تأليف الخوري بولس الفغالي

٣ - الكلمة صار بشرًا: دراسات في إنجيل يوحنّا
محاضرات نسّقها وقدّم لها وترجم نصوصها الفرنسيّة
الخوري بولس الفغالي
سلسلة «دراسات بيبليّة»، ١٨ و١٩ و٢٠
الرابطة الكتابيّة، لبنان - ٦٢٩ و٤٦٠ و٤٩٩ صفحة

١) في رحاب الكتاب - العهد الثاني: بعد جولة في رحاب الكتاب مع العهد الأوّل (العهد القديم)، يتابع المؤلّف مع جولة ثانية في العهد الثاني (العهد الجديد)، ولا سيّما في الأناجيل ورسائل القدّيس بولس. ويقسم المجلّد الثاني هذا إلى أربعة أقسام: العهد الجديد بشكل إجماليّ (مع موضوعات عامّة، كتبها على مرّ السنين وجمعها في القسم الأوّل هنا)، والأناجيل الإزائيّة (لا جديد على مستوى الدراسات، فالمسألة الإزائيّة تراوح مكانها)، وإنجيل يوحنّا (جاء هذا القسم الأكثر ابتكارًا بسبب الدراسات الجديدة التي رافقت إنجيل يوحنّا في السنوات الأخيرة هذه)، والقدّيس بولس ورسائله (حاول المؤلّف

أن يربط بولس بعصره، وتوقّف على بعض الدراسات البولسيّة ولا سيّما قول وسائل بولس في المسيحيّة الأولى وفي الرسم اللاحق). هذا الكتاب هو محطّة في بحث المؤلّف وقراءته، وسوف تتمّه محطّات أخر تجعل الكتاب المقدّس وعاءه في متناول الشعب المؤمن.

٢) إنجيل متّى: الجماعة وملكوت الله - الجزء الثالث: هذا الإنجيل سُمّي الإنجيل الكنسيّ. فهو يذكر «الكنيسة» مرّتين، وهو الذي اعتادت أن تقرأه الكنيسة أكثر ممّا تقرأ من أناجيل. وهو أيضًا الذي يرينا كيف يرسل الربّ جماعته: «يرسلها فيغيب عنها في الجسد، ولكنّه يبقى معها في حضور لا تحدّه بعد اليوم مقولات الزمان والمكان».

يتوزّع الجزء الثالث هذا على مرحلتين: الحياة في جماعة الملكوت، والطريق إلى أورشليم، الطريق إلى الملكوت.

٣) الكلمة صار بشرًا: دراسات في إنجيل يوحنّا: هذا الكتاب هو حصيلة المحاضرات التي أُلقيت في المؤتمر الكتابيّ السادس الذي نظّمته الرابطة الكتابيّة لإقليم الشرق الأوسط، في لبنان، ٢٤-٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٩٩. جاءت المحاضرات في اللغة العربيّة، ما عدا أربع محاضرات بالفرنسيّة، ترجم نصوصها الخوري بولس الفغالي.

ورد هذا الكتاب في أربعة أقسام: دراسات عامّة، يوحنّا وتجذّره التاريخيّ، دراسات لاهوتيّة، دراسات روحيّة.

في الختام، نتمنّى للمجلّدات الثلاثة، كما تمنّينا للمجلّدات التي سبقتها، أن تلبّي حاجات مكتبتنا الروحيّة العربيّة، شاكرين الله على العشرين مجلّدًا التي صدرت في سلسلة «الدراسات البيبليّة» منذ ١٩٩١.

أ. صبحي حموي

رسالتا القدّيس بولس إلى أهل كولُسّي وإلى فيلمون

تأليف الخوري بولس الفغالي

سلسلة «محطّات كتابيّة»، ١٥، منشورات «الرابطة الكتابيّة»، بيروت، ١٩٩٩، ٢٢٤ صفحة

تُقدَّم في هذا الكتاب دراسة لرسالتَين بعث بهما القدّيس بولس من سجنه إلى كولُسّي التي لم يبشّرها ولم يزرها. يبدأ المؤلّف دراسته بالرسالة إلى مسيحيّي كولُسّي، فيبيّن إطارها العامّ، ويستعرض أقسامها، ويشير إلى الموضوعات التي تطرّق إليها الرسول، ولا سيّما دحض الفرضيّات الغنوصيّة واليهوديّة، والدعوة إلى حياة مسيحيّة تقوم على الاتّحاد المتواصل بالمسيح القائم من بين الأموات. ثمّ يتناول الأقسام تباعًا، فيشرحها ويعلّق عليها. وفي النهاية، يقدّم خاتمة عامّة، ولائحة بالكلمات اليونانيّة الواردة في تفسير الرسالة، ولائحة المراجع. ويتّبع الأسلوب نفسه في عرض الرسالة إلى فيلمون، فيبيّن مضمون الرسالة وتصميمها، ثمّ يشرح أقسامها التي جعلها ستّة. لا شكّ في أنّ هذه

الدراسة تساهم في إيصال فكر بولس الرسول إلى المؤمنين، لا سيّما وأنّ رسائله، التي تمتاز بعمق لاهوتيّ لا يخلو من الصعوبة، تُقرأ دومًا في ليتورجيات كنائسنا الشرقيّة، ولا تُولى، بشكل عامّ، أهميّة في العظات.

أ. ص. أبو جوده

سمّاهم رُسُلًا

تأليف الأبوين يوحنّا ويوسف العنداري م ل.

منشورات الرسل، جونيه، ١٩٩٩، ٢٥٤ صفحة

إمتثالًا لما أقرّه المجمع الفاتيكانيّ الثاني سنة ١٩٦٥ في «التجديد الملائم للحياة الرهبانيّة»، انضمّت جمعيّة المرسلين اللبنانيّين، «أسوةً بمثيلاتها شرقًا وغربًا، إلى مسيرة التجدّد الروحيّ لتناوله من مختلف نواحيه، ضمن الحدّ الذي قدّسه الله لها. فما لبث أن أقرّ آباء «الكُرّيم» عقد مجمع غير عاديّ لهذا الغرض، تواصلت جلساته حقبة بعد حقبة... وعنها انبثق، وفقًا لإرشاد الكنيسة، قانون الجمعيّة المجدّد... بوحي الأمانة لرسوم القانون الأصليّ... وهكذا أكرن حرص الآباء على إرثهم الماضي، بالتطلّع إلى رؤى المستقبل ونداءاته».

ولقد أدرجوا معالم «هويّتهم الروحيّة» تحت خمسة عناوين: ١) خدمة الكلمة، وهي للمرسل اللبنانيّ عنوان دعوته والتزامه الجوهريّ، وبالتالي ميزته الروحيّة أمام الله والكنيسة - ٢) حفظ الوديعة، وهو الخيار الأساسيّ الذي يحدّد للمرسل اللبنانيّ كيانه الرسوليّ، من حيث يوليه ارتباطًا والتزامًا خاصّين بموقعه الكنسيّ، أي كنيسته المارونيّة - ٣) وثاق الحبّ الأخويّ، علمًا بأنّ اتّباع الربّ والمشاركة في رسالته الخلاصيّة هما شهادة حبّ، بحيث لا يُرسَل ولا يَشهد إلّا مَن يحبّ - ٤) عناق الأمانة والكفاءة، وهما صفتان بارزتان تُكمّل إحداهما الأخرى. فالأمانة خلوص وحرص وثبات، في حين تبدو الكفاءة تأهّبًا وجدارة وسخاء - ٥) جلية الخصال المشتركة، إذ إنّ أبناء الجماعة الواحدة يتمايزون باختلاف الأمزجة والميول والمواهب. إلّا أنّ تلاقيهم في دعوة واحدة يؤالف بينهم.

على هذا النحو المعاش، انبثقت واتسمت هويّة المرسَل اللبنانيّ، فيصعب بالتالي تحديدها النظريّ. ولذلك، فالسبيل المتاح لولوجها هو الوقوف على خصائص ودلالات تمثّل بعض المزايا الروحيّة: التجرّد والبساطة والانفتاح والاتّزان.

جميع هذه الأفكار والتحاليل يجدها القارئ مفصّلة بوضوح وحرارة في مؤلّف الأبوين يوحنّا ويوسف العنداري، وهما يلجآن إلى إنشاء ومفردات ترقى بنا إلى عالم الروح. وفي ختام الكتاب بضع صفحات سُجّلت فيها المحطّات البارزة في مسيرة الجمعيّة. فلا يسعنا في الختام إلّا أن نتمنّى أن يفيد القرّاء من الكنوز المدفونة في هذا المصنّف القيّم.

أ. صبحي حموي

كتب ومنشورات وصلت مؤخّرًا إلى المجلّة

○ أسرار الأرض: تأليف تريز حنّا عون، منشورات دار مكتبة سماحة، بيروت وجونيه، ١٩٩٥، ١٦٠ صفحة. - المؤلّفة محامية مثقّفة، طريفة الأسلوب، محتّدة الخيال، ناصعة اللغة، غاصت، من خلال عدد من القصص الرمزيّة، أبطالها نباتات وحيوانات، على أسرار العالم والبشر. وفي نهاية كلّ فصل مجموعة من الأسئلة تساعد القرّاء الشبّة على التعمّق في مضامين النصوص.

○ أوتار: تأليف تريز حنّا عون ونابلة أبي نادر، بيروت، ١٩٩٧، ١٢٤ صفحة. - هذا الكتاب إضمامة من التأمّلات تختصر مسيرة حياة. إنّه «يجمع بين الشعر والنثر، بين المعاناة والعلاة، بين الإنسان والخالق»، كُتب «نصوصًا متفرّقة بأسلوب عفويّ وفي مناسبات مختلفة». يُشعّ من صفحات هذا المؤلّف البسيط عواطف صادقة وأفكار مبتكرة وإيمان عميق حيّ.

○ اليوبيل الذهبيّ الثالث لتكريس كنيسة مار أنطونيوس قزحيّا على يد البطريرك إسطفان الدويهي: منشورات رابطة البطريرك أ. الدويهي الثقافيّة؛ زغرتا - إهدن، العدد ٢٦، ١٩٩٨، ٤٨ صفحة من القطع الكبير. - مجموعة مقالات محرّرة بقلم عدد من المؤرّخين الثقات ورجال الدين والفكر والسياسة.

○ الذكرى المئويّة الثالثة لتكريس كنيستَي مار أنطونيوس الكبير (مدرسة عين ورقة) ومار إلياس - الميدان (غوسطا) على يد... البطريرك أ. الدويهي، منشورات الرابطة المذكورة سابقًا، العدد ٢٧، ١٩٩٨، ٤٠ صفحة من القطع الكبير. - مقالات ووثائق مشفوعة بالصور الشمسيّة الرائعة، بقلم مؤرّخين مرموقين.

○ البطريرك إسطفان الدويهي العلّامة العملاق: تأليف الأب يوسف الخوري، الراهب اللبنانيّ، منشورات الرابطة المذكورة في أعلاه، العدد ٢٨، ١٩٩٩، ٣٢ صفحة من القطع الصغير. - يركّز المؤلّف في كلّ من فصول كرّاسه، على أنّ الدويهي كان عملاقًا في القامة، وفي ما تحمّله من آلام وما تحلّى به من إيمان وقداسة، وفي فكره اللاهوتيّ، وتبحّره في التاريخ واللتورجيا والألحان السريانيّة، كما أنّه كان عملاقًا في الحياة الرهبانيّة وصنعه العجائب.

○ أيّام وكلمات: تأليف الأبّاتي سعد نمر، رئيس عامّ الرهبانيّة المارونيّة المريميّة، مطابع معوشي وأولاده، لبنان، ١٩٩٨، ١٦٢ ص. - مجموعة خطب وعظات وأحاديث دينيّة ووطنيّة وتربويّة مليئة بالعمق والخبرة الروحيّة والإنسانيّة، وقد عُرضت ببلاغة على بساطة وإيجاز.

○ فنّ العطاء في القانون والأدب والتراث: تأليف القاضي أنطوان رومانوس الشدياق، شركة الطبع والنشر اللبنانيّة، بيروت، لا ت.، ٢٠٥ ص. - مجموعة دراسات غنيّة متنوّعة صدر بعضها في الصحف والدوريّات، تمحورت على شؤون قضائيّة وأدبيّة وتراثيّة، مع

تركيز على جبران ولبنان الشمالي، خاصّةً بلدة حدشيت مسقط رأس المؤلّف.

• روّاد طبّ العيون في سورية: تأليف الدكتور سمير رولان أنطاكي، طبعة ثانية، دار الذاكرة، حمص (سورية)، ١٩٩٩، ٣٣٤ ص. - صدرت الطبعة الأولى العام ١٩٩٣ وعرّفنا المشرق في حينه (١٩٩٤، ص ٢٥٣). وجاءت الطبعة الثانية هذه تزدان بتحسينات كثيرة (الإخراج، نوعيّة الصور الشمسيّة...) وزيادات، لا سيّما في ما يختصّ بالسنوات الأخيرة (١٩٩٣-١٩٩٨). ولكن نأسف على غياب فهرس للأعلام، فهو مهمّ في هذا النوع من الكتب المراجع. ولعلّ الطبعة الثالثة تعوّض النقص.

• سورية أرض التاريخ والآثار والقداسة: تأليف الأب باسكال كستلّانا وم. أكارنا كروم، حلب (؟) ١٩٩٩ (؟)، ١١٤ ص. - هذا الكتاب صغير بقطعه ولكنّه كبير بما احتواه من معلومات وافرة تركّزت على العمودييّن في سورية. والمؤلّف من كبار المختصّين العالمين بتاريخ العموديّين. يحتوي الكتاب على عدد من الصور الشمسيّة الملوّنة المعبّرة جدًّا، ولكن ينقصه فهرس بالمحتويات.

• سرّ الإفخارستيّا: تأليف الأب صلاح أبو جوده اليسوعي، موسوعة المعرفة المسيحيّة، سلسلة «الأسرار»، ٧، دار المشرق، بيروت، ٥٦ ص. - يتناول هذا الكتيّب تأسيس الإفخارستيّا وعلاقتها بالفصح اليهوديّ، فتطوّر ممارسة الإفخارستيّا عبر الأجيال، فمعنى هذا السرّ لا سيّما كونه مشاركة بين المسيح القائم والمؤمنين.

صدر عن دار المشرق